الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي بالوادي

معهد العلوم الاجتماعية و الإنسانية قسم : التاريخ

حملة المنصور السعدي على السودان الغربي 1591 - 1593 م

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعداد الطلبة :

- هزبري عبد الرزاق
- ربيع لخضر
- قحمص بوبكر

إشراف الأستاذ :

جعفري مبارك

لجنة المناقشة :

الأستاذ ناصر بالحاج رئيسا

الأستاذ جعفري مبارك مشرفا ومقررا

الأستاذ زقب عثمان مناقشا

الموسم الجامعي : 1431 - 1432هـ / 2010 - 2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر لله عز وجل على إنهائنا هذا العمل المتواضع الذي نرجو أننا استفدنا وافدنا غيرنا به.

كما نتقدم بأسمى معاني الشكر والتقدير إلى الأستاذ الفاضل المشرف : مبارك جعفري على توجيهاته العلمية في سبيل إنجاح هذا العمل العلمي ووقوفه إلى جانبنا في كل الأوقات الصعبة.

نشكر كل أساتذة قسم التاريخ بالمركز الجامعي بالوادي.

الشكر موصول بكل من ابتسم في وجهنا سائلا عن مصير البحث خاصة الأساتذة: قمعون عاشوري، غانبزية علي، عثمان زقب، السعيد المثردي، السعيد عقيب، ناصر بالحاج، ثامر عبد الرؤوف،عمار غرايسة، غانية بشير،عثماني الجباري،والأستاذ روينه عمر، اعترافا بصدقهم وتواضعهم ومساعدتهم وحبهم للخير. كما نتوجه بالشكر لكل من ساهم وساعدنا في مراجعة أو كتابة أو مناقشة هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد.

إهداء

بعــد الثناء على الله لإتمام هذا العمــل نهديه إلى :

- **رمز الحنان و العطاء روح التفاؤل و الشفاء أمي العزيزة.**
- **سندي المتين في السراء و الضراء ... أبي الغالي.**
- **إلى زوجتي و وحيدتي الغالية إلهام.**
- **إلى بناتي حفصة، الزهرة، منى، نور، سارة.**
- **إلى جميع أفراد العائلة : محمد الأخضر، عبد العزيز، خيرة، عبد اللطيف.**
- **إلى كل أساتذتي الكرماء.**
- **إلى الأستاذ الوفي : جعفري مبارك.**
- **إلى كل الأهل و الأقارب.**
- **إلى أصدقائي الأوفياء زين محمد البشير، زغدي مبروك، عبد المنعم زبيدي.**
- **إلى كل زملائي في إكمالية حي الرمال.**
- **إلى كل طالب علم.**
- **إليكم جميعا نهدي جهدنا المتواضع.**

هــزبري عبد الرزاق

إهداء

إلى شهداء الثورة وشهداء الواجب الوطني الذين رووا بدمائهم الطاهرة الزكية أرض الجزائر لننعم نحن بالحرية.

- إلى كل من علمني حرفا.
- إلى أساتذتي الأفاضل.
- إلى والدي العزيزين.
- إلى زوجتي المحتسبة و أبنائي.
- إلى إخوتي و أخواتي.
- إلى صديقي العزيز عبد الرزاق و زوجته و أبنائه.
- إلى الرجل الفاضل : حوبة رشاد.
- إلى كل هؤلاء أهدي هذه البكورة.

ربيح لخضـــر

إهداء

الحمد لله الذي وهبنا الصبر والتدبير ونشكر الله عز وجل الذي مكننا من تخطي الصعاب لإنجاز هذا العمل المتواضع على أحسن حال و نطلب من الله أن يتقبل منا هذا العمل اليسير والذي أهدي ثمرته إلى من قال فيهم سبحانه و تعالى : << وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا >> إلى الوالدين الكريمين أبي محمد الأخضر وأمي الزهرة دحدي.

- إلى روح المرحوم "أخي عيسى" الذي أرجو من الله أن يسكنه فسيح جنانه.
- إلى كل إخواني أحمد، علي، حسين، عبد الكريم، بالقاسم.
- إلى كل أخواتي فاطمة، عائشة، خديجة.
- إلى كل أبناء أخي : أسماء، نجاة، ربيعة.
- إلى كل من تربطني به صلة القرابة من قريب أو بعيد .

إلى أعز ما وهبت لي الحياة من زملاء وأصدقاء : محمد الحبيب، عبد الرزاق دحدي، الجموعي دحدي، عبد الكريم قعبي، محمد دحدي، عبد الرحمن شوارب، عبد الجبار قحمص، يوسف قحمص، محمد قحمص، حسين منصوري، جمال بن عون، أسامة بن عبد الرحمان، حمادة لموشية، ياسين العسري، ذوادي عبد الباري، غراره الهادي، محمود، شاوشي. كما أتوجه بالشكر الخاص إلى الزميل والصديق قحمص محمد (وحيد) الذي قدم لنا يدا المساعدة في إنجاز هذا العمل.

قحمص بوبكر

مقـــــــدمــة :

شكل كل من القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين نقطة تحول في التاريخ الإسلامي وعلاقته بالعالم الخارجي كونهما شهدا الكثير من الأحداث التي خلفت جملة من الانعكاسات وفي مختلف الميادين وكانت العامل الأساسي في تغير الأحداث والتوازنات بشكل عام، فمن سقوط القسطنطينية وبلوغ الدولة العثمانية مرحلة القوة والاتساع، إلى النهضة الأوربية وخروج المسلمين من الأندلس وبداية التحرشات الإسبانية والبرتغالية على سواحل المغرب، إلى بروز منطقة السودان الغربي وقيام مماليك إسلامية خرجت من دائرة المحلية وأصبحت تنافس نظيراتها في العالم وفي مقدمتها مملكتي مالي وسنغاي، وقد عرفت نهاية القرن السادس عشر الميلادي إحدى تلك الأحداث وكانت بلاد المغرب والسودان الغربي مسرحا لها ألا وهي **حملة المنصور السعدي على السودان الغربي 1591 م– 1593 م والتي تم اختيارها كعنوان لموضوعنا.**

ويعود الفضل في إختيارنا لهذا الموضوع إلى الأستاذ الفاضل جعفري مبارك الذي نبهنا إلى أهمية الحملة من الناحية التاريخية ودورها في العلاقات بين ضفتي الصحراء إلى غاية اليوم وقد زاد تعلقنا وارتباطنا بالموضوع عندما قرأنا بعض المواضيع التي تتناول الحملة ومجرياتها. إلى جانب دوافع أخرى من بينها: الرغبة الجامحة في معرفة حيثيات وتفاصيل الحملة وإعطاء صورة بسيطة عنها، كما أن الموضوع لازال محلا للنقاش ويثير جدلا كبيرا بين المؤرخين والباحثين.

ولقد بنينا دراستنا على الإشكالية الآتية: هل كانت حملة المنصور السعدي لبلاد السودان فتحا كما يذكر بعض المؤرخين ؟ أم حملة توسع و احتلال ؟ ولماذا أحدثت الحملة كل هذا الجدل بين الباحثين ؟ كما طرحنا مجموعة من التساؤلات للإجابة عن هذه الإشكالية لعل من بينها: كيف كانت أوضاع الدولة السعدية و مملكة سنغاي خلال تلك الفترة ؟ وما هي

ظروف الحملة وأسبابها ؟ وكيف تمت ؟ ما هي أبرز آثارها وانعكاساتها على منطقة السودان الغربي وعلى العلاقة بين ضفتي الصحراء؟ وكيف كانت نظرة المغاربة و سكان بلاد السودان الغربي للحملة ؟ ولماذا كل هذا الاختلاف من طرف المؤرخين حول الحملة؟

وقد أتبعنا في دراسة هذا الموضوع المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الملائم لدراسة مثل هذه المواضيع.

وتم تقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة، تناولنا في المقدمة تمهيدا للموضوع وتقديما يبين أهمية وأسباب اختيارنا للموضوع ثم طرحنا الإشكالية التي تدور حوله وكذلك وضعنا المنهج المتبع ثم عرجنا على الصعوبات والخطة وأخيرا أهم المراجع والمصادر المعتمدة في الدراسة.

جاء المدخل التمهيدي للتعريف بمنطقة السودان الغربي كونه الحيز الجغرافي للحملة وأهم المماليك التي عرفها خلال تلك الفترة.

أما الفصل الأول فتم تقسيمه إلى مبحثين جاء الأول منهما للتعريف بالدولة السعدية من حيث التأسيس، مراحل تكوينها، وعلاقاتها بجيرانها. وفي المبحث الثاني تحدثنا عن مملكة سنغاي وتأسيسها، إلى جانب جوانب من أوضاعها السياسية، والاقتصادية والاجتماعية.

أما بالنسبة للفصل الثاني فقد كان حول الدولة السعدية إبان عهد الاستقرار والازدهار في عهد المنصور الذهبي، وتضمن مبحثين جاء الأول بعنوان الدولة السعدية في عهد المنصور أبرزنا من خلاله شخصيته وإنجازاته وعلاقته بالدول المجاورة، أما المبحث الثاني فكان بعنوان حملة المنصور السعدي على السودان الغربي تناولنا فيه أسباب الحملة والاستعداد لها، استشارة المنصور لأهل الرأي، ومجريات الحملة.

أما الفصل الأخير فخصصناه لنتائج وانعكاسات الحملة، جاء في مبحثين أيضا كان الأول لانعكاسات الحملة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، على المغرب والسودان. أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه لنظرة المغاربة وسكان بلاد السودان الغربي للحملة. وختمنا الموضوع بخاتمة ضمنها أهم النتائج التي توصلنا إليها. كما أرفقنا البحث بملاحق من خرائط ونصوص حول الموضوع، واعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع والبحوث والدراسات نذكر منها: كتاب نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير اليفرني وهو من أشهر مؤرخي القرن الحادي عشر الهجري، وكتاب مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء لعبد العزيز الفشتلي مؤرخ الدولة السعدية، وكتاب الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى لأحمد ابن خالد الناصري السلاوي، وكتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور لمحمد بلو بن عثمان فودي، وكتاب تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمؤلف مجهول. إلى جانب مجموعة من المراجع والدراسات والأبحاث كما استعنا بالدراسات السابقة للموضوع ومنها واقعة وادي المخازن التي تناولها إبراهيم حسن في كتابه واقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب، وكذلك كتاب وادي المخازن لشوقي ابوخليل.

وقد اعترضنا في إنجاز بحثنا مجموعة من الصعوبات نذكر منها: أن معظم الدراسات التي تخصصت في هذا الموضوع كتبها مغاربة وفق نظرتهم الخاصة وبالتالي فإن الكثير منها يفتقد للدقة والمصداقية في الطرح، إضافة إلى قلة المصادر المتخصصة حول الموضوع وإن وجدت فصعب الوصول إليها، وإن تم ذلك فعن طريق الشبكة ألعنكبوتيه أو نسخة مصورة، وهنا نجد أنفسنا أمام مشاكل أخرى كغياب المصدر والماهية مما يفقدها قيمتها العلمية، إلى جانب المشاكل التي تعترض سبيل الباحثين المبتدئين في أول الطريق كصعوبة التحكم في الموضوع والمنهجية... الخ والتي تمكنا من تجاوزها بفضل مساعدة الأستاذ المشرف وبعض السادة الأساتذة بنصائحهم وتوجيهاتهم، ومن هنا

كان من الواجب علينا أن نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف على ما قام به من مجهود ولكل السادة الأساتذة ولكل من ساعدنا في اتمام هذا البحث.

مدخل: الحيز الجغرافي لمنطقة السودان الغربي وأهم مماليكه الإسلامية :

كان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تقطن بجنوبي الصحراء الكبرى، إلا أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ أحيانا على كل السود الأفارقة الذين يسكنون جنوب الصحراء، وهو ما يتضح من الرسالة التي كتبها الجاحظ وسماها "كتاب فخر السودان على البيضان" أنهم يقصرون لفظ السودان على ذلك الجزء الواقع غرب أفريقيا، وهو مستوحى عندهم من لون بشرتهم السوداء، التي اسودت حسب الإدريسي؛ نتيجة للحرارة الشديدة جدا، وإحراق الشمس لهم[1].

– الحيز الجغرافي لمنطقة السودان الغربي :

اختلف المؤرخون والرحالة في تحديد الإطار الجغرافي لمنطقة السودان الغربي وقد ورد ذكر الاسم عند ابن عبد الحكم دون تحديد عندما أشار إلى السوس، جنوب المغرب بقوله: ((... غزا عبيد الله الفهري السوس وأرض السودان...))، وقدا أطلق البكري كلمة السودان في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي على ذلك الجزء من غرب أفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارق النوبة على النيل شرقا واعتبر مدينة سجلماسة مدخلا إلى بلاد السودان ...))[2].

---

[1] – محمد بن محمد أبي عبد الله الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، بدون تاريخ، ج1، ص18.

[2]– الهادي مبروك الدالي : **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية ق 15 إلى بداية ق 18**، ط1 دار النشر المصرية، الإسكندرية، مصر 1989، ص 17.

وذكر القلقشندي أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم[1] مما يقابل بلاد اليمن ومن الشمال براري تمتد ما بين مصر وبرقة وبلاد عرب مغاربة من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط[2].

أما ابن حوقل فقد حدد منطقة السودان بقوله ((... وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ...)) غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المحيط وحد له ينتهي إلى برية وبين أرض المغرب وحدا له برية بينه وبين أرض مصر، على ظهر الواحات [3].

أما ابن خلدون فيقول ((... والسودان أصناف شعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة يليهم الكانم ويليهم من غربهم كوكو وبعدهم التكرور ويتصلون بالبحر إلى غانية ...))[4] وأورد عثمان بن فودي عن طول أرض السودان نقلا عن القسطلاني في شرح البخاري على أن عبد البرقي في كتاب القصد والأمم إلى معرفة أنساب الأمم فقال ((... إن مقدار المعمورة من الأرض مائة وعشرون سنة تسعون ليأجوج ومأجوج وأثنتا

---

[1]– بحر القلزم : يقصد به البحر الأحمر.

[2]– أبو عباس أحمد القلقشندي : **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، القاهرة، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر 1963 ج5، ص 275.

[3]– الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص 18.

[4]– عبد الرحمن ابن خلدون : **العبر و ديوان المبتدأ والخبر**، مؤسسة جمـــال للطباعـــة والنشـــر، بيروت، 1979 م، ج5، ص 234.

عشرة للسودان وثمانية للروم ...)) [1]. كما عُرفت المنطقة عند بعض المسلمين بـــ (بلاد التكرور)، وهو الاسم الشائع في الحجاز، ومصر، والحبشة حسب محمد بيلو بن عثمان[2].

أما الجغرافيون المحدثون فيحددونها بالمنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا، إلى حدود بحيرة تشاد شرقا، ومن الصحراء الكبرى شمالا، إلى القرب من خط الاستواء جنوبا[3].

– أهم المماليك الإسلامية في السودان الغربي :

قامت في منطقة السودان الغربي حسب المصادر العربية بين القرن الرابع والعاشر الهجري العاشر والسادس عشر الميلادي العديد من الإمارات والدول الإسلامية أعظمها مملكة غانة بالقرب من المحيط من جهة الغرب على مصب نهر السنغال وهي أقدم المماليك الإسلامية ثم مملكة مالي ومملكة سنغاي ومملكة الكانم ومملكة برنو المجاورة لإفريقية من جهة قبلتها[4] فأما وقد ذكر ابن خلدون أن أهل مملكة غانة كان لهم ملك ضخم وكانت حاضرة ملكهم هي غانة وهي مدينتان على ضفتي النيل السوداني من أعظم مدن العالم وأكثرها عمرانا[5] وقال الفقيه ابن عباس أحمد ابن عبد المؤمن القيسي: غانة

---

[1]– الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص 18.

[2] محمد بلو بن عثمان فودي: **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، تحقيق : بهيجة الشادلي، ط1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط المغرب، 1996، ص 47.

[3]– مبارك جعفري : **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ**، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص 235.

[4]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 98.

[5]– عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص42 .

من بلاد السودان وإليها ينتهي التجار يعنى من المغرب والمدخل إليها من سجلماسة إيابا مسيرة شهر ونصف وقد بلغت ذروة مجدها مابين القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس الهجري التاسع والحادي عشر ميلادي وامتدت من نهر النيجر إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا وشمالا وقد أورد الإدريسي عن أرض غانا بأنها تتصل من جهة الغرب ببلاد مقرارة ومن الشرق ببلاد و نقارة ومن الشمال بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض العرب المغاربة، كما أورد القلقشندي عنها قوله : ((... إن بلاد غانة تقع غربي بلاد صوصو وتجاور البحر المحيط الغربي وقاعدته ...)) أي قاعدة هذا الإقليم، مدينة غانا وهي حمل سلطان غانا وأورد المسعودي بهذا الخصوص وتحت يد ملك غانا عدة ملوك وممالك وقد عرفت غانا بهذا الاسم بالنية إلى عاصمتها مدينة غانا[1].

أما بخصوص مملكة مالي فيذكرها السعدي "ملي" ومحمود كعت يطلق عليها "مل" والحسن الوزان يسمها "مالي" وقد عرفت دولة مالي ببلاد التكرور وأشتهر ملكها باسم ملك التكرور، ويقول القلقشندي مالي المعروفة عند العامة ببلاد التكرور أما حدودها فهي تمتد شمالا إلى تخوم المغرب الأقصى، وغربا إلى المحيط الأطلسي وشرقا إلى حدود بلاد برنو، وأورد القلقشندي نقلا عن سعيد الدوكالي قائلا إن هذه المملكة مربعة طولها أربعة أشهر أو تزيد وعرضها مثل ذلك وجميعها مسكونة إلا ما قل وهذه المملكة من أعظم ممالك السودان المسلمين وأضاف لأنه يحدها من الغرب البحر المحيط وبلاد برنو من الشرق ومن الشمال جبال البربر، فمملكة مالي كانت مملكة مترامية الأطراف وبهذه

[1]– الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص ص 25، 26.

المساحة الشاسعة تمكنت من النهوض اقتصاديا وقد حكمت أسرة كيتا[1] مالي وقد أورد أبن خلدون أن برمندان حكم مالي[2].

أما مملكة التكرور وكانم فقال ابن خلكان ما نصه : كانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحد من هاتين القبيلتين لا تنسب إلى أب ولا أم وإنما كانم اسم بلدة بنواحي غانة فسمي هذا الجنس باسم هذه البلدة وتكرور اسم للأرض التي هم فيها وسمي جنسهم باسم أرضهم، وأهل كانم هم أهل مملكة برنوا المجاورة لأفريقية من جهة قبلتها كما قلنا وكانت لهم مع الدولة الحفصية في المائة السابعة مهاداة ومواصلة كما كان لأهل مالي مع بني مرين، وأتصل أمر أهل برنو على الانتظام إلى أن كان من أمرهم مع المنصور ما نذكره وكل هؤلاء الأمم كانوا على دين الإسلام قديما وكان فيهم العلماء والصلحاء والأدباء والشعراء[3].

---

[1]– الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص 50.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص 200.

[3]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص ص 102، 103.

ـ التعريف بالدولة السعدية:

– النسب والنشأة :

السعديون ثاني دولة عربية علوية تقوم في المغرب الأقصى بعد دولة الادارسة[1] ويبد ومن المفيد التوسع في الحديث عن نشأة الدولة إذ إكتفينا بالخطوط العامة عند الإشارة إلى انحطاط بني وطاس ويظهر أنهم من أصل عربي بلا منازع ولكن شكوكا حامت حول سلالتهم ونسبهم الشريف على الأقل في فترة انحطاطهم حيث شاع الخبر بأنهم لا ينحدرون من سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم بل من مرضعته فقط المنحدرة من قبيلة بني سعد ومنه اسم السعديين أسند إليهم منذ أوائل القرن السابع عشر وهو لا يخلو من التحيز إذ يؤكد عدم انتسابهم إلي النسب الشريف، ومهما يكن فإنهم على الأقل يعتبرون أنفسهم من سلالة الرسول (ص) وهو ما ذهب إليه النسابة عندما تألق نجمهم وهذا هو المهم.

وقد اختلف المؤرخون في نسب السعديين، حيث جاء في كتاب التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم أن الدولة تنسب لبيت الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الأدراسه الذين أنشئوا الدولة المغربية الإسلامية وقد ورد في إحدى الرسائل المرفوعة من السلطان إسماعيل جد الدولة العلوية القائمة إثر السعديين إلى الملكة إليزابيت عاهلة إنجلترا ورد نعت السلطان أبي العباس أحمد السعدي بالعم كما ورد في جواب لملك المغرب سيدي محمد بن عبد الله و قد سئل عن السعديين: أنهم بنوا عمنا، جدنا وجدهم واحد وقريتنا وقريتهم واحدة بالينبوع يقال لها:(بنو إبراهيم) هذا علاوة على أن السعديين في جل رسائلهم الرسمية كانوا يعتمدون إشعار مخاطبيهم بانتسابهم لآل البيت يظهروا

---

[1]– شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات(الجزائر، المغرب، موريتانيا)**، دار العارف النيل، القاهرة، بدون تاريخ، ص ص 292، 293.

استحقاقهم دون غيرهم لتحمل رسالة الحكم. ومنهم وصفهم بالسعديين بعد أن حالفهم السعد في كثير من حركاتهم وبخاصة أيام السلطان العظيم أحمد المنصور الذي لقب بالذهبي اعتبارا لما توفر عليه من أموال ليس فقط لفتحه السودان ولكن نتيجة كذلك لافتداء الأسرة الغنية في البرتغال لأقاربهم الذين وقعوا قي قبضة المغرب عند واقعة وادي المخازن[1].

ويرى آخرون أنهم ينتسبون إلى بني سعد ابن بكر ابن هوازن كما الدهماء، نسبتهم إلى السعد لأن الأمة سعدت في أيامهم وقد ظهر السعديون في الميدان في أواخر الوطاسين فعند ما بقيت ناحية الجنوب وثغور السوس عارية عن كل دفاع واستولى الأجانب على معظمها أنذلك، اتفقت كلمة سكان الناحية على اختيار عبد الله محمد القائم بأمر الله.

ويرى الأستاذ شوقي أبو خليل أنها لم تكن لهم في القديم ولم تظهر في سجلاتهم ورسائلهم (السعديون) بل لم يتجرأ أحد على مواجهتهم بهذه التسمية، إنما يصفهم بها من يقدح في نسبهم و يطعن في شرفهم[2].

– تأسيسها:

يرى البعض أن السعديين أتوا من الجزيرة العربية حوالي القرن الثاني عشر قبيل مجيء بني أعمامهم الأشراف العلويون علي ما يظهر وانتهى بهم المطاف بعد تقلبات وظروف لم توردها المصادر إلى واحات درعه [3] الوسطى على مقربة من بلدة زاقورة

---

[1]– عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مجلد الثامن، مطابع أفضاله، المحمدية الجزائر، ص7.

[2]– محمد علي الصلابي: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي في شمال إفريقيا**، ج1، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع القاهرة، مصر 2007، ص523.

[3]– درعه: تقع شرقي مدينة سلجماسة.

الحالية، فعاشوا طيلة قرون حياة متواضعة مغمورة كالتي يحياها صغار الأدباء الذين اكسبهم نسبهم بعض الاعتبار، واستوطنوا فترة غير مضبوطة قد تكون في النصف الثاني من القرن 15 م على اغلب الظن منطقة تيدسي بوادي السوس في الجنوب الغربي من تارودانت.

وغير بعيد منها أسسوا زاوية، وكانت فترة انتشرت فيها الفوضى رغم جهود بني وطاس لتوطيد حكمهم، فقد كاد جنوب المغرب الأقصى أن يفلت من قبضتهم ولم يعد أمراء هنتاته الحاكمون بمراكش قادرين على فرض طاعتهم فيها وراء جبال الأطلس، بحيث وصبح سهل السوس والجهة المواجهة للأطلس وواحات درعة تتمتع في الواقع باستقلالها، غير أن تفاقم أمر البرتغاليين أقض مضاجع السكان ودفعتهم تقواهم إلى حمل السلاح في وجه الكفار وكانوا يبحثون من حيث لا يشعرون عن زعماء دينيين يقودونهم في جهادهم المقدس فتحمل السعديون هذه الأمانة وأول من عين قائد عسكري عليهم سنة 1511 م/916 هـــ محمد بن عبد الرحمان المنتمي إلى أمير الجهة عبد الله بن مبارك البني(BANI) ومريد الجز ولي[1]. فأعلن الجهاد على قلعة فنتي البرتغالية بأغادير التي تأسست سنة 910 هـــ/1505م.

أما مؤسس الأسرة السعدية هو محمد بن عبد الرحمن ابن علي، وكانت بواعث الالتفاف حول الزعامة السعدية تتمثل في حب المغاربة للجهاد، ولذلك بحثت قبائل المغاربة عن شخص يقودهم في حركة الجهاد ضد المحتلين النصارى من الأسبان والبرتغال فأرشدوا إلى الشريف ابن عبد الله محمد القائم بأمر الله وكان مقيما في درعة فأرسلوا إليه فجاء إليهم واجتمع فقهاء المحا مدة و شيوخ القبائل فبايعوه، وكان هو واضع

---

[1]– شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس. الجزائر والمغرب الأقصى. من الفتح الإسلامي إلى سنة1830م**، تعريب محمد مزالي، ج2، الدار التونسية للنشر، 1979، ص265.

النواة الأولى للدولة السعدية، وشرع في حركة الجهاد، فوفقه الله في معارك ضارية، وحقق انتصارات رائعة على النصارى وظل في جهاده المبارك إلى أن توفه الله سنة 923 هـــ/1517م[1].

ـــ مرحلة تكوين الدولة وعلاقتها بجيرانها :

لقد مرة الدولة بفترة ما بين المؤسس أبو عبد الله محمد سنة 913 هـــ/1510م وقيام دولة عبد الملك(المعتصم بالله) في هذه الفترة نجد ابني المؤسس هما العباس أحمد(الأعرج) ومحمد الشيخ يتعاونان على تحمل المسؤولية التي تركها والدهما في عنقهما و هي القيام بشأن الدولة إلى حد القضاء على الو طاسين [2] فأبو عباس أحمد اعتقل مراكش وطرد الو طاسين منها سنة 930 هـــ/1524م وقام بجهاد شكور في تحرير الثغور والشواطئ من أيدي البرتغاليين وأما أخوه محمد الشيخ فقد استقر في منطقة السوس حيث كون له سندا من القبائل السوسية لما كان يتصف به من ذكاء و نشاط ولم يكن من الطبيعي أن يحكم المغرب الواسع أميران ولو كان أخوين غدر بأخيه واحتل مراكش فأنتصر على أخيه أبي عباس أحمد الأعرج الذي كان بويع في مراكش سنة 930 هـــ /1524م وكان قد سبق لوالد أبي عبد الله محمد نصبه وليا للعهد، انتصر محمد الشيخ على أخيه واستولى على مراكش 956 هـــ/ 1549م وبذلك أصبح هو الأمير وكان عليه أن يركز دولته فهاجم مكناس وفاس واعتقل الو طاسين وغربهم إلى مراكش فكان ذلك آخر عهد دولتهم سنة 961 هـــ/1554م وقضى على آخر ملوكهم أبي حسون وتتلخص

---

[1]– أحمد مصطفى متولي: **بداية الأيام ونهاية الزمان في تاريخ الإسلام**، واجهة عبد الوهاب بن محمد، ط1، ج2، دار ابن الجوزي، القاهرة، ص 303.

[2]– عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2005، ص 298.

أعمال هذا الأمير بالشجاعة والذكاء والمعرفة في تحرير اكادير957 هـ/1550م ومحاولة احتلال تلمسان واحتلها بعد نضال كبير ثم خرج منها وقامت في تلمسان دولة بني عبد الواد ورأى محمد أن السلطة التي تحكم في تلمسان عداء الدولة وكان أبو حسون آخر ملوك الو طاسين قد عاد واستولى على فاس بمساعدة الأتراك الذين ساعدوه طمعا في الاستلاء على المغرب عن طريق الاستلاء على فاس عاصمة الدولة وتم القضاء على أبي حسون وامتاز عهد هذا الأمير بحذره من الزوايا والمتصوفين فأقفل الكثير منها وقاوم فكرة التصوف وبعد ذلك جاء ابنه الذي لم يترك شيئا يذكر باستثناء الاستمرار في مقاومة الزوايا[1].

وسيكون الرجل الأخير الذي ظهر في هذه الفترة هو عبد الله محمد المتوكل الذي سيلعب دورا خطيرا في التعاون مع البرتغال أثناء معركة وادي المخازن وسيكون أحد الملوك الذي قتلوا في هذه المعركة[2] وفي هذه الفترة تميزت بعلاقات مضطربة مع أتراك الجزائر وكانت أعينهم في ترنوا إلى المغرب فهم الذين طردوا محمد الشيخ من تلمسان أما في عهد السلطان سليمان القانوني 1520م – 1566م /926 هـ–973 هـ أعظم سلاطين آل عثمان وسع أقاليم المملكة وعقد علاقات مختلفة مع الدول الأوربية طمعا في الاستيلاء على المغرب وضمه في إمبراطوريته في الجزائر وتونس وكان يرغب في أن يكون هذا فبعث إلى السلطان المغربي أن يكتب العملة باسمه وأن يخطب باسمه على المنابر ورفض السلطان المغربي محمد الشيخ كل المطالب التي قدمها السفير إليه فكان أن نضم سليمان القانون عصابة قدمت إلى المغرب في صدفة تجار استطاع إفرادها أن يكسبوا ثقة السلطان وأنزالهم عند قائد الفرقة التركي في جيشه ودبر له مكيدة وتم قتل

---

[1]– شوقي ضيف: المرجع السابق، ص. ص 291، 292.

[2]– أحمد مصطفي متولي: المرجع السابق، ص 303.

محمد الشيخ السلطان المغربي وفر نفر برأس القتيل سنة 964 هـــ/ 1557م أما في العهد الغالب بالله سنة 975 هـــ/1567م هاجم الأتراك مدينة فاس مرة أخرى انطلاقا من الجزائر فانتصر عليهم وطردهم من المدينة[1].

ـــ مملكة سنغاي:

بعد إمبراطورية غانا ومملكة مالي الإسلاميتين في غرب أفريقيا قامت على أنقاض الأخيرة مملكة سنغاي والتي اشتهرت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين وسنتحدث في عجالة عن تأسيس هاته المملكة وأهم أوضاعها في مختلف المجالات.

ـــ تأسيس مملكة سنغاي:

أورد صاحب مخطوط "زهور البساتين" عن أصل السنغاي معلومات امتزجت بين الحقيقة والخيال مفادها أن جد سنغاي (وجد) و(نكر) كانا أخوين شقيقين وأن أباهما كان ملكا من ملوك اليمن كان اسمه (تراس بن هارون) وعندما مات الأب خلفه على الملك أخوه (يسرف بن هارون) فضيق الخناق على أبناء أخيه أشد التضييق فهاجروا من اليمن إلى ساحل البحر المحيط (المحيط الأطلسي) التكرور ومعهم زوجاتهم ووجدوا هناك عفريتا من الجن فسألوه عن اسمه فقال:(سار) فقال ما جاء بك إلى هذا المكان فقال لا أعلم فقالوا يحق لهذا المكان أن يقال له تكرور إلى أن أورد اسم كبير الرجال المذكورين و يدعي وعكري (ذابن براس) وزوجته (آمنة بنت يخت)وهو جد قبيلة وعكري و الرجل الثاني (سغي بن براس) وزوجته (سارة بنت وهب) وهو جد قبيلة سغي والرجل الثالث اسمه ونكر وهو أصغرهم، وليس له زوجة ولكن له أمتان إحداهما تدعى سكري والأخرى

[1]– عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ص ص 299، 300.

كسري فأتخذ ونكر سكريا سرية له و كان جد قبيلة و نكر عبدا يدعى (بمنيك) فزوجه كسرى وهو جد قبيلة منيك، وإلى آبائهم نسبوا ثم تفرقوا في الأرض، وكان كبيرهم وعكري سلطانهم وسموه كيمع* [1].

و هناك رواية أخرى تقول أن السنغاي ينتسبون إلى قبيلة نشأت على ضفاف نهر النيجر الأوسط في الفترة مابين القرن السابع و التاسع الميلاديين حين عرفت قبيلة ضياء * (غرب السودان جنوب الصحراء الكبرى) وأسسوا أسرة حاكمة، هي أسرة ضياء*، وتولى الملك أول ملك لهذه القبائل وكان اسمه ضياء العالمين وهذه الأسرة (أسرة ضياء) نزحت من طرابلس الغرب وحدث تصاهر بينها وبين السكان الأصليين وارتبطت بعلاقات وطيدة مع غانا وتونس وطرابلس وبرقة و مصر عن طريق القوافل التجارية، وفي بداية القرن 11 عشر بالتحديد.

وفي سنة 1010م / 400 هـــ أسس الملك كوزى أول عاصمة للمملكة وهي مدينة (جاو) وتقع شرق الثنية الشمالية لنهر النيجر، وتدل الشواهد التاريخية على أن مملكة سنغاي قد بدأت بالفعل في سنة 1010م / 400 هـــ واستمرت حتى 1325 م/725 هـــ حين قام موسى الأسود بغزو مدينة جاو وضم السنغاي إلى إمبراطورية مالي، و في رحلة الحج الشهيرة التي قام بها كنكن موسى أصطحب أثنين من أبناء الملك ضياء وهما (الأمير كولون) والأمير(سليمان نار) وكان الأخيرين يبديان ولاءهما للملك كنكن موسى في الظاهر ولكن في الحقيقة يقومان بسرقة الأسلحة من إمبراطورية مالي وإرسالهما إلى

* كيمع : تعنى في كلامهم مال الإرث.

[1]– الهادي المبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18**، ط1 دار النشر المصرية اللبنانية، الإسكندرية، مصر 1999، ص ص 89، 90.

*– قبيلة ضياء: هي أحدى القبائل العربية وأسست أسرة حاكمة عرفت بأسرة ضياء.

جاو و بعد موت كنكن موسى استطاع الأميريين أن يهربا من الأسر ويعودا إلى جاو، وكانت المملكة حينئذ دون حاكم بعد موت أبيهما وعلى الفور أعلن علي كلون نفسه ملكا على سنغاي وأسس أسرة جديدة هي أسرة السني وبدأ في تدعيم مملكة سنغاي حتى أصبحت مملكة ذات شأن كبير في تلك المنطقة من أفريقيا[1].

وكان أول ملوك السني(علي السني) ولقب سني يعني المحرر لأنه استطاع قيادة الثورة ضد جنود مالي المقيمين بسنغاي وتمكن من طردهم وتحرير بلاده وكان رجلا طموحا استطاع خلال فترة حكمه من تحويل مملكته الصغيرة إلى إمبراطورية ضخمة حكمت جزءا كبيرا من السودان الغربي[2]، لتعرف المملكة أوجها في عهد الأسقيا محمد الكبير[3].

ـ الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمملكة سنغاي:

كغيرها من المماليك عرفت مملكة سنغاي تطورا وازدهارا أثرته الكثير من المصادر التاريخية وكتب الرحالة وهذا في مختلف المجالات.

– الأوضاع السياسية :

---

[1]– جوان جوزيف: **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا وآسيا**، ترجمة مختار السويقي، ط1، دار الكتب الإسلامية دار الكتاب اللبنانية، بيروت 1984، ص ص 81، 82.

[2]–جعفري عباس حمدي: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، عمان، الأردن 2001 ص 53.

[3]– للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م.

.

تميز التنظيم السياسي لمملكة سنغاي بالسلطة المركزية المنظمة والملكية المطلقة وهو النظام الذي وضعه أسكيا محمد وكان يهدف إلى خلق وحدة قوية من الأجزاء المختلفة للملك، وكان النظام الملكي هو القائم في جاو وعلى أساس الشريعة الإسلامية وكان الحكم وراثيا في الابن الأكبر كما هو الحال في الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت، وكان الملك يتمتع بسلطة شبه مقدسة وهو موضع توقير وتقدير وكانت عاصمة ملكه ومقر إقامته مدينة جاو، كما حاول البعض أن يطلق على هذه المملكة خلافة على غرار الخلافة الإسلامية في تلك الفترة خاصة بعد ذهاب أسكيا محمد لأداء فريقه الحج عام 1494م/899 هـــ.

وفي عهد الأسقيا محمد قسمت البلاد إلى مقاطعات ووضع لكل مقاطعة والي وكان هذا الوالي هو الحاكم المدني والعسكري في إقليمه الذي يتولاه، ووجدت وظائف دائمة حول الملك منها (الكيمي) أي مدير البناء و (بوبي كوبي) أي رئيس السوق كما أن هناك منصب وزير الماء و رئيس الأسطول و يطلق عليه (لا راي فاما) أما الولاة فأغلبهم من أبناء المناطق التي يعملون فيها، وكان هؤلاء الولاة يخضعون لفترة محدودة يمارسون فيها كافة السلطات ما عد السلطة القضائية.

وكانت المملكة تنقسم إلى إقليمين كبيرين هما كومينا في الغرب ودندي في الجنوب الشرقي، و يتولى أمره أحد أمراء الأسرة المالكة[1]. أما الجيش فقد تمكنت مملكة سنغاي من إعداد قوة و جيش مسلح دائم و قادر على حمايتها، وكان هذا الجيش يتمتع بمكانة مرموقة لاعتماد الملوك عليه وقد بدأ نظام التجنيد الإجباري في عهد السني علي ودخل الجيش في عهد أسكيا محمد في دور التنظيم حيث وضع لفرقة نظامها الخاص ومنها

[1]–عطية مخزوم الفيتو ري: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة إنتشار الإسلام)**، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1998 ، ص ص 317، 318.

المشاة، الفرسان، الخيالة والمساعدون وكان القائد العام للجيش هو الملك وقد قسم الجيش إلى فصائل وجعل الإشراف على فصائله في الأقاليم تحت سلطة لواءه وقد كانت سنغاي تمتلك قوة بحرية خاصة في جاو وتمبكتو وقد بلغ عدد قوارب الأسطول ألفي قارب كما استخدم الجواسيس لمعرفة مدى قدرة العدو، وإجمالا كان جيش سنغاي نظاميا من حيث القيادة والتدريب والتوزيع[1].

– الأوضاع الاقتصادية :

تمكنت سنغاي بفضل موقعها الجغرافي من السيطرة على الطرق التجارية إذ كانت تقع على نهر النيجر والذي تميز بخصوبته الدائمة وكان من أهم مواردها الاقتصادية: الزراعة وتربية المواشي ولقد تنوعت المزروعات في سنغاي وكانت موردا أساسيا للسكان ومن بينها الحبوب والأرز والدخان والشعير والقمح بالإضافة إلى زراعة البقوليات كما تتوفر الفواكه والخضر والقطن والكتان وقصب السكر والكروم والتين، كما اعتنوا بتربية الحيوانات وكانت الأبقار والماعز تربى في الأطراف الساحلية وكانت هذه المواشي تشكل موردا هاما للألبان واللحوم وصناعة الجلود والصوف[2]. كما مارسوا صيد الأسماك النهرية بكثرة وكنت طريقتهم في ذلك بدائية.

أما في الجانب الصناعي فقد اعتمدا سكان سنغاي في صناعتهم على الزراعة والثروة الحيوانية ولكنها كانت صناعة بسيطة كما وجدت الصناعات الحرفية، وقد تنوعت الصناعة بتنوع المواد الأولية والمعدن منها كالذهب المتوفر بكثرة والنحاس، بالإضافة إلى صناعة الأقمشة والمجوهرات، كذلك صناعة الفخار.

---

[1]–عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص ص 110، 112.

[2]–عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص ص 319، 320، 321.

أما التجارة فقد كانت تعتبر من أهم الموارد التي اعتمدت عليها المملكة التي سيطرت كما أشرنا على الطرق الرئيسة التي تمر بها التجارة عبر الصحراء الكبرى و قد كانت هناك تجارة داخلية متمثلة في الأسواق المحلية، و أغلب البضائع تباع في العراء ولكن إضافة إلى ذلك كانت توجد الأسواق الكبيرة وأغلبها يقع شمال البلاد وكانت تجري عن طريقها حركة الاستيراد والتصدير وكانت توجد في تمبكتو وجاو ولاتا وكوكو[1].

كما اشتهرت المملكة بتجارة الخيول التي تعتبر أرفع شيء في السودان ولذلك لا يستطيع شراؤها إلا الأغنياء من الناس، أما أهم السلع التي كانوا يستوردونها من الخارج نجد : القمح والزيت والتمر وبعض الفواكه والأقمشة التي كانت تأتي من بلاد المغرب ومصر.

أما بالنسبة للعملة فكانوا يتعاملون بالذهب دون سكة، وبالإضافة إلى استخدام الذهب أستخدم النحاس في المعاملات المالية، كما وجد نظام المقايضة بشكل واسع، ولأهمية الملح القصوى في حياة أهل السودان صار عملة شرائية.

وإجمالا لا نستطيع القول أن التجارة كانت تسهم في اقتصاد المملكة وكانت تدر الرخاء والثراء عليها و قد ساعد على نجاحها توفر الأمن الذي نعمت به عهودها الأولى[2].

---

[1]- Joseph ki-zerbo: **histoire de l'Afrique noire d'hier à demain**, Paris, 1972,p p134,135.

[2]– ج . ت نياني وآخرون، **تاريخ إفريقيا العام** : صدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة عام 1988 طبع بالمطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ص ص 214، 215.

– الأوضاع الاجتماعية :

كان المجتمع في سنغاي سواء في المدينة أو القرية يتميز بأهمية الروابط الأسرية وكنت الأسرة هي العنصر الأساسي للمجتمع الذي ورث الكثير من العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في مملكة مالي الإسلامية التي تشبهت بالعرب المغاربة في زيها وفنها المعماري، وكان المجتمع ينقسم إلى ثلاثة طبقات :

الأولى الطبقة المالكة الارستقراطية والتي تتشكل من الملك وحاشيته والنبلاء والقواد وولاة الأقاليم وقد اختصت هذه الطبقة بالوظائف الكبرى وعددها قليل ولكنها تملك وتتحكم في الثروة وتعيش في ترف[1]، أما الثانية فهي الطبقة الوسطى والتي لم تكن تشكل نسبة مرتفعة وهي تضم القضاة والأئمة وهؤلاء موظفين بالإضافة إلى المدرسين ويتقاضون من خزينة السلطان رواتب معينة وهم لا يملكون ملكيات واسعة مثل التي اختصت بها الطبقة الأولى، بالإضافة إلى التجار وكان أغلبهم من الأجانب وكانت التقاليد الملكية تقتضي احترامهم ومعاملاتهم كأفراد البلاد وذلك لكونهم مسلمين، أما وضعهم القانون فهم ضمن الطبقة الوسطى[2]، أما الطبقة الثالثة فهم العبيد والخدم ويقومون بالأعمال في الأسواق والمنازل والحقول لحساب غيرهم وعددهم يفوق نصف عدد السكان نتيجة الفتح و التوسع الذي شاهدته المملكة خاصة في عهد السني علي وأسكيا محمد وكان دورهم السياسي والعسكري ثانوي جدا، وفي الأعياد والمناسبات مثل يوم تتويج الملك يتزينون ويقضون هذه الأيام في الغناء والصخب.

---

[1]– عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص ص 223، 224.

[2]– عبد القادر زبادية : المرجع السابق، ص ص 104، 106 .

وكان القاضي هو الذي يفصل في معظم الخلافات التي تحدث بين الناس ويعهد إليه بأموال اليتامى والغائبين، أما الفلاحون فكانوا يعشون في مساكن مستديرة في تجمع واحد وكانت هذه المساكن من الأكواخ وإجمالا كان المجتمع في سنغاي مجتمعا بسيطا عنصره الأساسي هو الروابط الأسرية التي شكلت بنيته الاجتماعية[1].

[1]–ج .ت نياني وآخرون : المرجع السابق، ص 216.

ـ الدولة السعدية إبان فترة المنصور السعدي :

تجمع اغلب الكتب التاريخية على أن العصر الذهبي للدولة السعدية كان خلال فترة حكم المنصور السعدي لما عرفته الدولة من توسع وقوة في مختلف المجالات.

ـ التعريف بالمنصور السعدي[1] :

هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد المهدي، ولد بفاس سنة 956هـ/ 1549 م[2] وأمه الحرة مسعودة بنت الشيخ الأجل أبي عباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي الوارززاتي و كانت من الصالحات الخيرات[3] ذات علم[4] وذكر صاحب كتاب "المنتقى المقصور على مآثر الخلفية المنصور " قال: مرض المنصور في صغره مرضا شديدا حتى أيس منه فرأت أمه في النوم شخصا يقول لها: أزيريه الشيخ أبا ميمونة فإنما أصابته

---

[1]–للمزيد حول حياة المنصور ينظر: عبد العزيز أبي فارس (الفشتالي)، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، مطبعة ومكتبة عصرية الرباط، 1972، ص25 وما بعدها. محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تصحيح هوداس، مطبعة بوردين، أنجيه، فرنسا، 1888م، ص 78 وما بعدها. الناصري السلاوي: المصدر السابق، ج5، ص 89 وما بعدها. محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق(موسوعة أعلام المغرب)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م، ج3، ص 1124وما بعدها. عبد الكبير الفاسي: **تذكرة المحسنين لوفيات الأعيان وحوادث السنين**، (موسوعة أعلام المغرب)، المصدر السابق، ج3، ص 1136. ناصر الدين سعيد وني : معجم مشاهير المغرب، دار النشر الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995، ص 225.

[2]– نفسه، ص 225.

[3]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ص 89.

[4]– ناصر الدين سعيد وني : المرجع السابق، ص 225.

عين فازارته إياه فعفوي[1] وأبوه هو محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله الحسيني السعدي.

أكتسب أحمد المنصور معارف عصره في البلاط الملكي السعدي حيث كان مفضلا عند أبيه محمد الشيخ الذي كان يعتبره واسطة عقد أبنائه وأفضلهم، وازداد خبرة في شؤون الحياة من تجاربه الشخصية وأسفاره العديدة بأقطار المشرق، وعرف بالحزم واليقظة وأتصف بالطموح وحب العظمة والميل إلى التظاهر بالغنى والقوة.

ووصفه أحمد القاضي صاحب "المنتقى" بقوله: ((...إنه جمع في العلم والحلم وحسن الخلق وكمال الخلق والفضل الحسن الإدراك والميز والعقل ما لم يحصل لملك... وهو أشد الملوك صبرا وأمدهم خبرا وأقواهم احتمالا وأكثرهم بذلا للندى...))[2].

ونشأ المنصور في عفاف وصيانة وتعاط للعلم ومناقشة لأهله عليه، ويروى في مناهل الصفاء: حدثني الشيخ المسن القائد أبو محمد مؤمن بن الغازي العمري أن المنصور أقبل يوما في حياة أبيه وهو صبي والمجلس غاص بالأكابر فندفع يخترق الصفوف قال: فصاح بن المهدي إذ ذاك، وأنا اصغر القوم، فقال : يا مؤمن أرفعه فسينفعك أو ينفع عقبك فابتدرت بحمله، وكان كذلك، فان المنصور لما أفضت إليه الخلافة كان القائد مؤمن بن الغازي عنده بالخطوة الرفيعة والمنزلة العلية[3].

---

[1]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ص 89.

[2]– ناصر الدين سعيد وني : المرجع السابق، ص 225.

[3]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 89.

درس في مراكز علمية متعددة، من أهم هذه المركز (فاس، مراكش، تاوردانت)[1]، درس علوم اللغة والآداب والتاريخ والتراجم والفقه والحديث والمنطق والبلاغة والفلك والرياضيات والأصول والتفسير ومن أشهر الشيوخ الذين تلقى الشيخ المنصور العلم والفقه على أيديهم : ابوالعباس أحمد بن علي المنجور المعروف بتبحره في العلوم واهتمامه بالفنون وتوسيعه في علم النحو والبلاغة والمنطق وعلم الكلام، وشقر دان بن هبة الله الوهراني الذي درس عليه الفقه والتفسير وغيرهما من العلوم، وأبو زكريا يحي السراج، ومحمد بن يوسف الدرعي، وسليمان بن إبراهيم، وموسى الروداني[2].

وقال الشيخ أبو فارس عبد العزيز الفشتلي[3] لما أخذ البيعة لولده السلطان الغالب بالله كما تقدم استقدامه من فاس وأوصاه بالمنصور جدا وقال له : إن الفائدة فيه، أو كما قال وهكذا كان ينبه على أنه واسطة عقد أولاده وكان المنصور رحمه الله يحدث أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأنواره تشرق قال : فوقع في نفسي أن أسأله عن نصيبي من الخلافة فكاشفني عليه الصلاة والسلام بما في خاطري و أجابني بما حقق لي نيلها، ثم أشار لي بأصابعه الثلاثة الشريفة ضاما الإبهام منها إلى السبابة والوسطي وقال: أمير المؤمنين داه[4].

---

[1]– تارودانت : تقع مراكش، بالقرب من ساحل المحيط الأطلس شرق أغادير الحالية وقد كانت حاصرة سوس لبعض الوقت.

[2]– محمد علي الصلابي : المرجع السابق، ص ص 537، 538.

[3]– الفشتالي : هو أبو فارس عبد العزيز محمد الفشتالي ولد بفاس سنة 956 – 1031 هـ / 1549 – 1621 م و لما اشتهرت قرية المنصور ولاه رئاسة الإنشاء في بلاطه.

[4]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 90.

أما عن صفاته فكان طويل القامة ممتلئ الخدين واسع المنكبين تعلوه صفرة رقيقة أسود الشعر، أدعج أكحل، براق الثنايا حسن الشكل، جميل الوجه ظريف المنزع لطيف الشمائل وكان مثالا للشجاعة والإقدام وحسن التبصر وسعة الخبرة والإنصاف[1] ومن أبرز السمات البارزة في المنصور أنه كان يرعى العلماء والمتعلمين و يعقد مجالس علمية عامة وخاصة في أوقات معلومة يحضرها علماء دولته من الشمال إلى الجنوب فيغد عليهم من الصلاة والعطايا حيث قال عنه العلامة المنجور: ما عهدنا بذل المئات إلا في أيام الأشراف وما عهدنا سبل الألوان إلا في أيام المنصور أحمد فكان يهتم بالجيش والفتح وكان يهتم بالعلم والمعرفة وتشجيع العلماء[2] ومن الثابت أنه كان إلى جانب مشاركته الواسعة في العلوم اللغوية والشرعية وكان أديبا وشاعرا له مؤلفات عديدة[3] منها: كتاب "المعارف في كل ما تحتاج الخلائق" يتكلم هذا الكتاب عن فقه الدولة وسياستها ويهتم بالطرق العلمية لصناعة الأسلحة والذخيرة وبناء نقاط للدفاع ويهتم بالطرق التقنية ويرسم التفكير الاستراتيجي القتالي، وكتاب "العود أحمد" وجمع فيه الأدعية المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمأخوذ من كتب الحديث الصحاح، ومؤلفه في دراسة الحديث النبوي((... نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة...))، إلى جانب كتابات أدبية وشعرية متميزة تظهر فيها المحسنات البديعية أحيانا، وله فهرس ذكر فيه شيوخه، وديوان صغير ذكر فيه أشعاره، وديوان أشعار العلويين، وقد ألف في السلطة والحكم كتب عديدة تزيد عن 100 كتاب[4].

---

[1]–شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 295.

[2]–حنا الفاخوري: **تاريخ الأدب العربي في المغرب**، ج1، منشورات المكنية البولية، بيروت، لبنان 1982، ص 379.

[3]–محمد علي الصلابي: المرجع السابق، ص 538.

[4]–محمد علي الصلابي: **دولة الموحدين**، ط1، المكتبة الدهرية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان 2007، ص 236.

و أضطر المنصور بعد موت أبيه إلى التحول إلى الجزائر مع أخويه عبد المالك و عبد المؤمن حتى لا يتعرض لبطش أخيه أبي عبد الله سنة 1556– 1573 /963 هـــ– 980 هـــ ويكون بعيدا عن تهديدات أخيه أبو عبد الله المتوكل على الله سنة 1556 – 1575 م/963 هـــ–980 هـــ فاستقر مع أخيه عبد الملك مدة باسطنبول وحضر استرجاع تونس من طرف العثمانيين سنة 1574 م /981 هـــ قبل أن يعود إلى المغرب مع أخيه عبد الملك على رأس قوة مؤلفة من أربعة آلاف جندي أمده بها السلطان العثماني لاسترجاع الملك 1575 م /982 هـــ، فانهزم المتوكل وتولى عبد الملك العرش السعدي حيث تحول المتوكل إلى البرتغال طلبا للنجدة مما أدى إلى المعركة الشهيرة وهي معركة وادي المخازن التي أسفرت عن الملك فبويع أحمد المنصور بالخلافة في ساحة معركة وادي المخازن يوم الاثنين واجتمع عليها من حضر هناك من أهل الحل والعقد ثم اقفل المنصور من غزوته ودخل فاس يوم الخميس من السنة المذكورة وجددت له البيعة ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن فأذعن الكل لطاعته وسارعوا في الدخول تحت آمراته جمادى الأولى سنة 986 هـــ /4 غشت 1578 [1] وفي صدد توليه الخلافة يقول الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد في كتابه الفوائد الجمة بإسناد علوم الأمة: ((... أخبرني الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله الدغوغي صاحب الحسبة، أنه رأى في منامه كأنه في حلقة يسرد فيها صحيح البخاري بموضع من دار الخلافة و أبو العباس المنصور، يومئذ بها و ذلك قبل ولايته، قال فرأيت في طرة الكتاب هذا اللفظ ((... وروى الزند، فكنت أتأمل معناه فألتفت فإذا برجل الغزل ناحية على نفسه فوقع في نفسي أن أسأله فأتبنه بالكتاب و قلت يا سيدي ما معنى هذه الكلمة التي في طرة هذا الكتاب فقال لـــــي((... قل لمولاك أحمد: أنا الذي أوريت زندك ما دمت على الحق فإن عدلت عنه فإنا برئ منك فقلت له ومن أنت يا سيدي فقال لي: رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم

[1]– ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 226.

يمضي إلا قليل حتى ولي الخلافة وحمدت سيرته فقـــال أبـــو زيـــد : ((... و ناهيك بزند أوراه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن ولاية الإسلام لا تنعقد إلا بأمر النبي صلى الله عليه و سلم...))[1].

وبعد بيعة أحمد المنصور جاءته الهدايا من بعض الدول تهنئه بالخلافة فأرسل السلطان مراد العثماني هدية و هي سيف محلي لم ترى مثله مضادا وصفاء ولم تزل الوفود بباب المنصور والإرسال تصبح وتمسي على أعتاب تلك القصور إلى أن لم يبق أحد ممن تتشوق النفوس إليه حينئذ أطمأنت بالمنصور الدار وطاب المقام[2].

وفي جمادي الأولى سنة 987هـ/1579م مرض المنصور مرضا مخوفا وطال به حتى كادت الامورتختل ثم شفاه الله على يد الحكيم أبي عبد الله محمد الطيب وكان يوم خروجه يوما مشهورا وفي ذلك يقول الفقيه أبو عبد الله بن علي الهوازن المعروف بالنابغة قصيدة شعرية مشهورة[3].

---

[1]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 91.

[2]– أحمد مصطفى متولي : المرجع السابق، ص 306.

[3]– يقول فيها :

تردى أذي من سقمك البر والبحر وضحت لشكوى جسمك و البدر

وبات الهدى خوفا عليك مسهدا وأصبح مذعور الفواد الندى الغمر

فلما أعاد الله صحتـــك التـــي أفاق بها من غمة البدو و الحضر

تراءت لنا الدنيا بزينة حسنـــها وعـــاد إلى إبانـــة ذلك البشـــر

وصار الإسلام في كل بلـــــدة يهني و يدعى أن يطول بك العمر

ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 92.

وكان المنصور حسن السياسة حازما يقظا مشاور في مهمات الأمور، و كان قد أتخذ يوم الأربعاء للمشورة، و سماه يوم الديوان[1] تجتمع فيه و جوه الدولة يتطارحون فيه وجود الرأي فيما ينوب من جلائل الأمور وعظيم النوازل وهنالك يظهر شكايته من لم يجد سبيلا للوصول إلى السلطان يبحث عنها غير متراخ في قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ولا يبطئ الجواب، ويقــول: ((... كل شيء يقبل التأخير إلا مجاوبة العمال عن رسائلهم ...))[2] وكان الكتاب لا يفارقون مراكزهم إلا في أوقات مخصوصة و قال الفشتالي : و لقد كان بالباب يوما يعني معشر الكتاب، قبل أن يخرج المنصور فورد النذير على الكتاب أبي عبد الله بن علي الفشتالي بأن ولدا له في النزع فلم يملك نفسه أن ذهب إلى داره، فخرج المنصور على أثره فسأل عنه، فقيل أنه ذهب إلى داره، فاستشاط غضبا و ذهب إليه فجئ به مزعجا وما شككنا في عقوبته، فلما مثل بين يديه قال: ما الذي ذهب بك ؟ فذكر له أمر ولده وأنه أشتد به المرض ولم ينجع فيه دواء طبيب، فرق له وقال: إن أمراض الصبيان قلما ينجع فيها إلا طب العجائز ولا كعجائز دارنا فأبعث من يسألهن[3] ومن حزمه أنه اخترع أشكالا من الخط على عدد حروف المعجم وكان يكتب بها فيما يريد أن لا يطلع عليها أحد يمزج فيها الخط المتعارف فيصير الكتاب مغلقا فإذا أسقط في يد عدد لا يدري ما فيه ومن ضبطه أنه تعلم الخط المشرقي فكان يكاتب به علماء المشرق كتابة كأحسن ما يوجد في خط المشارقة أو مما وقع له في ذلك، أنه بعث بطاقة بخط يده على طريقة أهل المشرق لكاتبه أبي عبد الله ابن عيسى يطلب منه كتابا فبعثه ابن عيسى إليه وبعث معه هذين البيتين :

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 130.

[2]–حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص 540.

[3]–أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 189.

ــ سقتني كؤوس السرور دهاقا خطوط أتتني في مهرق

ــ رأت كف أحمد في الغرب بحرا فجاءت إليه من الشرق[1].

ــ التنظيمات الداخلية للدولة:

اتبع المنصور تنظيما إداريا صارما لازالت الكثير من ملامحه إلى اليوم بالمغرب الأقصى وهو يقوم على:

أ – الإدارة المركزية:

كانت الإدارة المركزية للدولة السعدية مكونة من عدد من العناصر السياسية والإدارية ومن أبرزها نجد:

ــ **السلطان :** الذي كان يحتل الصدارة في جهاز الحكم بحيث كان يعد أعلى سلطة في هذا الجهاز، وقد حمل المنصور لقب الخليفة كغيره من الملوك السعديين تأييدا لأحقيتهم بخلافة المسلمين بدل من العثمانيين، بحكم أصلهم النبوي الشريف[2].

ــ **الحاجب :** هو مكلف بتنظيم العلاقات بين الخليفة وباقي كبار الدولة.

ــ **الوزير:** هو بمثابة الوزير الأول حاليا يشرف على تنفيذ السياسة العامة للبلاد .

ــ **كاتب السر:** وهو الكاتب الخاص للخليفة والمسئول على ضبط مراسلات المنصور الداخلية والخارجية يساعده مجموعة من الكتاب[3].

---

[1]–شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 298.

[2]–ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 226.

[3]–شوقي الجمل: **المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر**، ط2، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات 2006، ص 189.

ــ **صاحب خزائن الدار:** هو بمثابة وزير المالية حاليا ويتكلف بسهر على ضبط مداخيل الدولة وصرفها والملاحظ أن مواد الدولة اتسعت بشكل كبير في عهد المنصور حيث شملت إلى جانب غنائم الحرب، الجابيات وكانت تتكون من الزكاة و ضريبة الخراج وكانت تمس على الخصوص القبائل السهلية التي اعتبرت مفتوحة بالقوة و ضريبة الجزية على اليهود و مختلف الملازم المفروضة على التجار وأصحاب الحرف كما شملت المداخيل كما أصلاح النظام الجبائي فأقر الخراج واحدث مكوسا على الأسواق والمبادلات وجعل النائية أو ضريبة العشر تدفع نقدا عائدات استغلال الدولة لعدد من المناجم و احتكارها لصناعة السكر ومداخيل الجمارك.

ــ **إدارة مراكش (المخزن)** : وهي المشرفة على الأراضي التي تسكنها القبائل وتحصل منها على الضرائب ثم مراكش المستقلة وهي التي يعاد نفوذها نفوذ السلطان[1].

ــ **أصحاب المشورة** : وهم الهيئة الاستشارية التي يلجأ إليها المنصور في حالة عزمه على اتخاذ بعض القرارات مكونة من شخصيات عدة كقواد الجيش والفقهاء وزعماء بعض القبائل.

ــ **مجلس الديوان** : أو مجلس الملا واختصاصاته سياسية وقضائية وعسكرية وهو أعلى مرجع قانوني للبلاد إلا أنه لا يستطيع أن يتجاوز أحكام السلطة القضائية ولو كانت ضد المجلس كله أو بعض رجاله، وكان مجلس الديوان من المرونة وسعة الأفق بحيث يسمح بدخول المختصين أو ممثلين المدن والمركز القروية عندما يقتضي الأمر استشارات على نطاق شعبي واسع[2].

---

[1]– حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص 379.

[2]– محمد علي الصلابي : دولة الموحدين، المرجع السابق، ص 237.

ــ صاحب المظالم :

يتكلف بتلقي الشكايا ورفعها إلى المنصور للبت فيها[1] وقد ترأس أحمد المنصور مجلس المظالم، وجعله في جامع القصبة في مراكش بجوار قصره وشكل لجنة تراقب مجرى القضاء في الأقاليم، ودراسة تقاريرهم بعناية وأهتم بضبط الإدارة وأحكام دولته وإقامة العدل علة رعايا.

كما عمل على إقامة محطات في أرجاء البلاد يحرسها جنود مقيمون لا يبعد بعضهم عن بعض إلا بمسافة عشرين كيلومتر بحيث يستطيع المسافرين والقوافل أن تمر عبر القرى والبوادي بأمن و سلام[2].

ب – الإدارة الإقليمية:

قام المنصور بتوزيع البلاد إلى أثنى عشرة ولاية وإقليم وأسند إدارتها لعناصر تحظى بثقته، حيث عين على كل رأس منها عاملا بمثابة نائب عنه في الإقليم وكان يتمتع بصلاحيات واسعة وقد أناب المنصور عنه أبنائه في أقاليم خاصة كفاس ومكناس وسوس ومراكش وقسمت الأقاليم بدورها إلى قيادات يرأسها قائد أو باشا يدير شؤونها العامة ويقوم بالبت في القضايا المدنية والخصومات ويساعده صاحب الشرطة المكلف بالحفاظ على الأمن والقاضي الذي يتكلف بالنظر في القضايا الشرعية إضافة إلى شيوخ القبائل الذين عهد إليهم بمهمة تأمين سلامة الطرق[3] كما أهتم بالجهاز القضائي وفصل

---

[1]– شوقي الجمل : المرجع السابق، ص 188.

[2]– محمد علي الصلابي : دولة الموحدين، المرجع السابق، ص 238.

[3]– شوقي الجمل : المرجع السابق، ص 189 .

السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية تماما ومنع السلطة التنفيذية من التدخل في السلطة القضائية.

وقد قارن المؤرخ الفرنسي بين القضاء الأوربي والقضاء المغربي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين(... السادس عشر و السابع عشر الميلاديين...) فقال : في الوقت الذي كانت أوربا في العصر السعدي يحتفظ الملوك فيها و حدهم بحق الحكم في عدد من القضايا فإن الملوك السعديين لا ينظرون إلا في القضايا المرفوعة ضد رجال السلطة و هذا ما كان يدعى المظالم [1].

ج – تطبيق الشريعة الإسلامية :

ساد العدل في أيام المنصور و قد ذكر الفشتلي أنه لم يرى من ملوك العصر أعدل منه وما من مملكة تسير على قوانين الشرع و منهاج السنة أحسن من مملكته و لاسلطان أعدل من سلطانه و لا وطن أكثر بأبنائه رحمة و أسلم اعتقادا و أوضح مذهبا و امتن دينا و أكثر لأصل الخير و الصلاح جميعا و أبعد عن البدع و المناكر نزاهة و اعتصاما أجمل من وطنه [2] و يذكر الفشتلي: أن المنصور كان حريصا على المحافظة على الحدود الشريعة كان في ذلك صلب العود ، قوي الشكيمة ، أشد الخلفاء انقيادا للشرع متصفا لصاحب الحق حتى من نفسه [3].

---

[1]– محمود السيد : **تاريخ إفريقيا القديم والحديث**، مؤسسة الجامعة للنشر، الإسكندرية، مصر، ص 281.

[2]–شوقي الجمل : المرجع السابق، ص 190.

[3]–الفشتلي : مناهل الصفاء، ص 208.

د – التنظيم العسكري :

اهتم المنصور بتنظيم الجيش المغربي و تقويته و تطويره و إعداده أحسن إعداد باعتباره الأداة الفعالة في ضبط الأمن و الدفاع عن جوزه البلاد [1] و كان تنظيم جيشه لا يقل نظاما عن جيش الأتراك و الأسبان و البرتغاليين و جميع الدول كانت معاصرة [2] فأخذ المنصور من الأتراك نظامهم الحربي و ضم إليه أعداد من الأسر من مختلف الجنسيات من الأندلسيين و الزنوج و من الأتراك اللاجئين ومن مسيحي أوربا على أنه خصص من يقوم بتدريبهم بما يتفق مع النظام المغربي [3] وهكذا قام بإنشاء جيش قوي مكون من :

ـــ **الحرس الملكي :** مهمته السهر على سلامة السلطان ومرافقته في حله وترحاله [4].

ـــ **الجيش النظامي :** يتكون من الأتراك و الاعلاج و الأندلسيين و من أنضاف إليهم من أهل سوس و مراكش و قسم إلى فرق جعل لكل منها لباس خاص وعين على رأسها قائدا و ضابطا مرتبين ترتيبا عسكريا مستمد من العثمانيين [5] و كان يخضع بانتظام لتدريبات خاصة كما تم تجهيزه بالأسلحة النارية مثل المدافع و البنادق إلى جانب الأسلحة التقليدية ، كما شرع المنصور في أواخر حياته في تقوية الأسطول البحري [6].

---

[1]–شوقي ضيف : المرجع السابق، ص 291.

[2]–حنا الفاخوري : المرجع السابق، ص 378.

[3]–محمود السيد : المرجع السابق، ص ص 281، 282.

[4]–شوقي الجمل : المرجع السابق، ص 186.

[5]–ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق، ص 226.

[6]–شوقي الجمل : المرجع السابق، ص 188.

ـ **جيش المتطوعين** : عرف بجيش عرب الدولة و هو مكون من القبائل الموالية للدولة وكانت تمد المنصور بقوات من الفرسان والمشاة مقابل تمتعها ببعض الامتيازات مثل إعفائهم من الضرائب و إقطاعهم بعض الأراضي[1] وقد ذكر الفشتلي سيرة المنصور في ترتيب جيوشه قال : فلما جاء المنصور اصطفى من العجم موالي رباهم وأشملهم درر إحسانه منهم مصطفى باي ومعناه بلغة الترك قائد القواد ويختص به قائد الاصباحية وكان يرسم حراسة الباب العالي ومنهم الباشا محمود وهو صاحب خزائن الدار بيده مفاتيح بيوت المال و منهم القائد علوج قائد جيش العلوج و الباشا جوذر فاتح السودان وهو قائد جيش الأندلس وعمار قائد جيش السوس ، ثم أن جيش العجم من الأتراك والعلوج قسمه إلى أقسام منها البياك : وهم أهل القلانس الصفرية المذهبة ذوات الأعراف من ريش النعام الملون والسلاق : أهل القلانس الطويلة البيض المرسلة على المناكب ويناط بها من أعلى الجباه جعاب صفر مذهبة وبلبدروش وهم أهل اللقاقيف وهي رماح قصيرة غليظة العصي مغشاة بالحديد و القبجية : وهم أهل حفظ الأبواب وغلقها وفتحها وقائدهم مولود المنشاوري، و طائفة من هؤلاء تحرس ليلا وتطوف علة مسايف الصور المحيط بالدار والشواش وهم يتولون ضبط الجيوش في حرب أو سلم وقال الفشتلي : فإذا خرج يوم عيد أو تهنئة خرجوا متزينين و كل قائد يقف عند مبدأ انبعث خيل تحت ألوية محفوفا بجيش من رؤساء جنبه أهل الخيل وهم الذين بالبكباشات، فاصلا بذلك بين جيشه وجيش من يردفه خلفه وهكذا يمتد إلى انبعاث الجيش من تلقاء أمير المؤمنين وكل يعرف مركزه ورتبته ويتعداه إلى غيره يتقدم أو تأخر ولا يجد السبيل لذلك لو أراد [2].

---

[1]–عبد الله العروي : **مجمل تاريخ المغرب**، ج3، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ص 468.

[2]–أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المصدر السابق، ص 163.

وقال الفشتلي أن الترتيب الذي جرى به العمل في عساكر المنصور أن يتقدم أولا جيش السوس ثم يردفه جيش شراكة وكل منهما ينقسم جيشين ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالي وعسكر العلوج وهذان يسيران صفين متساويين لاستواء مرتبتهما و عند العطاء تارة يتقدم هؤلاء وتارة هؤلاء غيران الموالي يكونون في الميمنة لمزية الولاء وكلاهما يحظى بموالاة ركاب السلطان ويتقدم قائدهما محمود قائد الموالى وجوذر قائد الأندلس وترفع على رأس كل منهما الريات ويحفه عسكر من بلكباشات ثم يتصل بهذين العسكرين الدخلة العظيمة المؤلفة من البياك والسلاق وبلبدروش فتسير الفرق الثلاثة أمام المنصور صفوفا متساوية فأما البيالك فيلون ركابه يحفونه يمينا وشمالا و يرفع البعض رماحه ثم يسر عن يمينهم وشمالهم السلاق ويسر عن يمين وشمالهم بلبدروش أهل اللقاقيف و تتكيف من جميع الصور تزرع الرعب في القلوب [1] .

ـ العمران :

من أشهر المشاريع العمرانية بناء قصر البديع بمراكش وقد بدأ في تشيده سنة 986 هـ/1578م و استمر العمل حتى عام 1002 هـ/1594م استغرق 15 عاما ولما أراد المنصور أن يشرع في البناء أحضر أهل العلم ليختاروا أنسب الأوقات للشروع في البناء فحشد له المنصور أمهر الصناع من مختلف أنحاء العالم، فكان يجتمع كل يوم لهذا العمل من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان يقام لهم ببابه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهم وجلب لهم الرخام من بلاد الروم [2] وقد وصف الأفراني قصر البديع فيقول : وهذا البديع دار مربعة الشكل وفي كل جهة منها قبة رائعة الهيأة فنظم بذلك بناؤه وطالت مسافته ولاشك أن هذا البديع من أحسن المباني وأعجب المصانع ينسى

[1]–أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ص 164.

[2]–شوقي الجمل : المرجع السابق، ص 190.

ذكر غمدان و ينجس الزهراء و الزاهرة و يزري بقباب الشام و أهرام القاهرة وفيه من الرخام المجزع و المرمر الأبيض المقصنض والأسود ما يحير الفكر ويدهش النظر وكل رخامه طلي رأسها بالذهب الذائب وفرشت أرضه بالرخام العجيب أما سقوفه فتجسم بالذهب و طليت الجدارات به مع بديع النقش فتكاملت فيه المحسن[1]، كما قيلت فيه الكثير من القصائد[2].

- علاقات المنصور الخارجية (الدولة العثمانية، البرتغال، إسبانيا).

لتعزيز وضعه الداخلي أقام المنصور علاقات مع مختلف الدول والمماليك في تلك الفترة وسنتحدث عن بعض من تلك العلاقات الخارجية.

- علاقة المنصور بالدولة العثمانية :

تعكس علاقة أحمد المنصور بالدولة العثمانية مهارته و حنكته السياسية التي جعلته يحرص على أن لا يتحول التنافس مع السلاطين العثمانيين و نفوره من سياستهم إلى عداء صريح قد يؤدي إلى احتياجهم للغرب، و بعد أن توترت علاقته بالدولة العثمانية بسبب إهمال السفارة العثمانية و استصغاره لهدية السلطان العثماني مراد الثاني و تصميم علج

---

[1]-حنا الفاخوري : المرجع السابق، ص 379.

[2]-ـــ منها أحد القصائد جاء فيها

كل قصر بعد البديع ندم فيه طاب المبني وطاب المشم

ـــ منظر رائق و ماء نمير و ثرى عاطر و قصر أشم

ـــ إن مراكشا به تباهت مفخرا فهي للعلاء الدهر تسمو.

ينظر: شوقي الجمل : المرجع السابق، ص 191.

علي حاكم الجزائر على غزوا المغرب [1] سارع أحمد المنصور بإرسال وفدا على رأسه الكاتب أبو عباس أحمد الهزالي إلى استانبول، و قد نجح بالفعل في إقناع السلطان العثماني بحسن نواياه [2] وهذا ما أشار إليه السلاوي في الاستقصاء بقوله : ((... كان المنصور موادعا لسلاطين آل عثمان فيرسل إليهم بالهدايا في كل سنة و كانوا يراسلون إليه بالمكاتب و الخلع السنية حتى أن السلطان مراد الثاني كتب إليه لك علي العهد أن لا أمدن يدي إليك إلا للمصافحة ...))[3] وقد تكررت المراسلات بين الطرفين إلا أن تعالى السلطان العثماني و عد نفسه الخليفة الوحيد و أن المنصور ليس إلا حاكما أو أميرا لفاس أو مراكش و إلحاح العثمانيين على موضوع تسليم إسماعيل بن عبد الملك فاس من جهة و رغبة المنصور في تأكيد استغلاله على الأتراك و اعتباره ندا للسلطان العثماني من جهة أخرى كان يحول دون وصول المفاوضات إلى نتائج ملموسة ومع ذلك فأن شعور العثمانيين و المنصور بتزايد الخطر الأسباني بعد ضم البرتغال و تضايق المنصور من إلحاح الأسبان على تسليم العرائش من المغرب دعت للتقريب بين الطرفين واستمرار الاتصالات وتبادل السفارة و الهدايا ففي سنة 1580م/988 هـ تلقى المنصور من السلطان العثماني مراد رسالتين يقترح فيها على المنصور التحالف وأن يقدم السلطان العثماني 300 سفينة حربية و قوات عثمانية تشترك مع المغربة في مهاجمة أسبانيا.

كما عرض السلطان العثماني أبنته زوجة للمنصور لتوثيق هذا التحالف و أمام إلحاح اسبانيا على المنصور تسليم العرائش تملص المنصور بحجة الرجوع إلى السلطان العثماني وكانت انجلترا تحث السلطان العثماني على التدخل لدى المنصور للامتناع عن

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق، ص 228.

[2]–شوقي الجمل : المرجع السابق، ص 182.

[3]–محمود ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق، ص 228.

تسليم العرائش للأسبان، كما أبدى العلج على رغبته للذهاب إلى المغرب مع هدايا ثمينة للسعي بإبعاد مستشاري المنصور الميالين للأسبان [1].

و بعد وفاة السلطان العثماني مراد(جمادي الأولى 1003 هـ – 1596م)و جلوس السلطان محمد خان علي كرمي الحكم ، تجددت المراسلات و الاتصالات و هكذا نجد هذا الأخير يبعث إلى العاهل المغربي يخبره بالحدث، الأمر الذي دفع المنصور إلى أن يبعث من مراكش برسالة تعزية و تهنئة في وقت واحد إلى السلطان الجديد من إنشاء الكاتب محمد ابن علي الفشتالي منها : ((... ورد في مقامنا كتابكم الأثير و خطابكم الجليل فمهدنا بحضرتنا العلية مهاد الإجلال و التعظيم و أشد نابه إشادة ملأت مسامع الظاعن و المقيم و أن الذي أنهاه إلينا من النبأ الذي أمر و أحلى و أوحش التعريف بوفاة ولينا ... ثم الإعلام بولايتكم و اطمئنانكم على كرسي ملككم ، إلا والي جانب هذه الرسالة بعث برسالة أخرى إلى الصدر الأعظم سنان باشا و قد تضمنت علاوة على ذلك التهنئة بجلوس مقام ولدنا السلطان محمد ابن السلاطين العظام...)) لكن هناك شيء يجب أن ننبه إليه هو أن نجاح الحركة السعدية في غرب إفريقيا لم يكن بالشيء الذي يرضى العثمانيين، أن نلاحظ من جهة خفة حركة المراسلات و لقد ظلت علاقات المنصور بالباب العالي مستمرة إلى آخر أيام حياته وهكذا نجد رسالة من السلطان مراد الثالث كتبها إليه استجابة لطلب من ملك فرنسا هنري الرابع الذي كانت تضايقه رقابة الأسطول المغربي في البحر المتوسط لما يمر من سفن فرنسية و لقد كتب محمد الثالث إلى أحمد المنصور الذي كان قد استسلم لمرض موته يلتمس منه تحرير البحارة الفرنسيين و يطلب

[1]– محمود علي عامر ومحمد خير فرس : **تاريخ المغرب العربي الحديث**، منشورات جامعة دمشق، سوريا 2000 ، ص ص61، 62.

إليه أن يعمل على منع رعاياه من شراء الإفرنج من القراصنة الخارجيين عن قانونه في الايالة الجزائرية و التونسية [1].

– العلاقات مع البرتغال :

لقد اتسمت علاقات البرتغال مع الدولة السعدية بمرحلة حرب تتمثل في معركة وادي المخازن

– معركة وادي المخازن :

لم تتوقف أطماع البرتغاليين في المغرب رغم تراجعهم عن الثغور و ظلوا ينتظرون الظرف الملائم للوثوب عليه ، و هذا سيظهر جليا أثر أزمة العرش التي انطلقت بعد وفاة عبد الله الغالب حيث أنه وبعد تمكن عبد الملك من الانتصار على ابن أخيه محمد المتوكل سنة 1576م، التجأ هذا الأخير إلى البرتغاليين لطلب مساعدتهم مقابل التنازل على الشواطئ المغربية، و كان على العرش المغربي الملك سباستيان ذي التكوين المسيحي الكاثوليكي المتشدد والذي كان متحمسا لتحقيق حلم البرتغاليين بالتوسيع بالمغرب[2] استغل سباستيان الفرصة وجمع حوالي 28000 مقابل تضمن المتطوعين من قشتالة وإيطاليا مرتزقة من ألمانيا وحلفاء مغاربة يتراوح عددهم ما بين 3000 إلى 6000 كما توفر الجيش على 40 مدفعا أما الجيش المغربي كان عددهم حوالي 4000 مقاتل بقيادة أبو مروان عبد الملك تتضمن 15000 مقاتل إنكشاري عثماني، بالإضافة إلى 34 مدافع مغربية كبيرة، وقد أبحرت السفن الصليبية من ميناء لشبونة باتجاه المغرب يوم

[1]– عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص ص 66، 67، 73.

[2]– شوقي أبو خليل : وادي المخازن ، دار الفكر، دمشق 1988، ص ص 82، 83.

24 يونيو 1578م/986 هـ وأقامت في لاكوس[1] بضعة أيام، ثم توجهت إلى قادس وأقامت أسبوعا كاملا ثم رست بطنجة وفيها لقي سباستيان حليفه المتوكل أما مروان أبو عبد الملك سلطان الغرب الجديد فكاتب أخيه أحمد أن يخرج ويجند فاس وما حولها وكان اللقاء قرب القصر الكبير واختار عبد الملك القصر الكبير مقرا لقيادته و خصص من يرقب سباستيان وجيشه بدقة واستدرج سباستيان للمجئ إليه ففعل ذلك وتحرك قاصدا القصر الكبير حتى وصل جسر وادي المخازن حيث خيم قبالة الجيش المغربي و تواجه الجيشان بالمدافع وبعدهما الرماة والمشاة وعلى المخبتين الفرسان وفي صباح يوم الاثنين 4 أغسطس 1578م/986 هـ ركب السلطان فرسه يحرض الجيش على القتال رغم مرضه الشديد [2].

و قام القس والرهبان بإثارة حماس جند أوربا علما أن البابا أحل من الأوزار أرواح من يلقون حتفهم في هذه المعركة انطلقت عشرات الطلقات النارية من الطرفين إيذانا ببدء المعركة مال أحمد المنصور بمقدمة الجيش على المؤخرة البرتغاليين والفرسان على جانبهم في مناورة تطوقيه وأوقد النار في بارود البرتغاليين واتجهت موجة مهاجمة ضد رماتهم في المقدمة والقلب فقتل العديد و صرع سباستيان وألوف من حوله بما فيهم جل نبلاء البلاط بعد أن ابدأ صمودا وشجاعة تذكر وحاول المتوكل الفرار شمالا فوقع غريقا في نهر وادي المخازن ووجدت جثته طافية على الماء فسلخ وطيف به في إرجاء

[1]– إبراهيم حسن : **واقعة وادي المخازن**، في تاريخ المغرب ، دار الثقافة ، دار البيضاء المغرب 979، ص 101.

[2]– يوسف فاروق : **معركة وادي المخازن**، ترجمة حيدر و وفاء موسى، دار عويدات للطباعة والنشر 1987، ص 210.

المغرب و قد توفي السلطان عبد الملك جراء الجهد رغم المرض ودامت المعركة حوالي أربع ساعات وعشرون دقيقة[1].

أما بالنسبة لنتائج معركة وادي المخازن فقد كانت على النحو الأتي :

– هناك اختلاف كبير فيما تذكره المراجع من عدد القتلى من الفريقين ، لكن أسرى البرتغال وصل عددا ضخما قدره أربعة عشر ألف افتدوا و بملغ ضخم من الذهب

– أعاد الانتصار للشعب المغربي ثقته بنفسه وبقدرته على القضاء على المطامع الاستعمارية والمخططات التوسعية التي تعرضت له بلاده منذ استولى البرتغال على سبته عام 1415 م/818 هـ [2].

– أصبح سلطان المغرب بعد عبد الملك أحمد المنصور بالله (الذهبي) وبويع بعد الفراغ من القتال بميدان المعركة.

– أرتفع نجم الدولة السعدية في أفق العالم وأصبحت دول أوربا تحاول كسب ودها واضطر ملك البرتغال الجديد أن يرسل وفدا إلى المغرب وكذلك ملك الأسبان ووفودهم محملة بالهدايا[3].

---

[1]–FRAY LUIS NIETO , EN LA RELACION DE LAS GUERRAS DE BARBERIA , 4 DEL SWOSO Y MUERTE DE L REY . SEBASTIAH RECOPILADA EN LA CLOECCION DOCUMENTEX PARA LA HISTORIA DE ESPANA . VOL 100 , pp 411. 458 .

[2] – شوقي الجمل : المرجع السابق ، ص 178.

[2] – محمد علي الصلابي : دولة الموحدين ، المرجع السابق، ص 234.

[3] – محمد علي الصلابي : صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص 536.

– مات في تلك المعركة ثلاثة ملوك سباستيان ملك البرتغال وملك مخلوع (محمد المتوكل) و مجاهد عبد الملك المعتصم بالله لذلك سميت معركة الملوك الثلاثة

– سارع البرتغاليون النصارى بفكاك أراسم ودفعوا أموالا طائلة للدولة السعدية.

– سادت فترة هدوء و رخاء و بناء في العلوم و الفنون و الصناعات في بلاد المغرب.

– حدث تحول جذري في التفكير و التخطيط على مستوى أوربا حيث رأوا أهمية إتقان الغزو الفكري لبلاد المسلمين ، لأن سياسة الحديد والنار تحطمت أمام إدارة الشعوب الإسلامية في المشرق و المغرب[3].

– كانت هذه الهزيمة كارثة بالنسبة للبرتغال إذ فقدت ملكها و استغلالها و انتقلت إلى يد فليب الثاني يضربه من ضربات الحظ (... في يد الأسبان...)[1].

– دعم هذا النصر نفوذ السعديين في المغرب وفرض احترامهم على الجميع سوا في العالم الإسلامي أو في أوربا فأصبحت للمغرب شخصية بارزة ممتازة في العالم كله و قد كان أول ما قام به أحمد المنصور بعد البيعة أن كتب لملوك الإسلام ينبئهم بهذا الفتح المبين فقدمت الدولة العثمانية الهدايا و تهانيها بهذا الفتح.

– علاقة المنصور مع أسبانيا :

تابع الطرفين سياسة بلادهما في الإبقاء على الحلف الاسباني المغربي إلا أن الفتور بدء يسود العلاقات بين الطرفين بعد أن تصالح المنصور مع الأتراك و بدأ يسعى في صلاته بهم كان ذلك بخاصة بعد صمت إسبانيا والبرتغال سنة 1580م/988 هـ وأظهرت رغبتها في الحصول على ميناء العرائش و آوت إليها الأمير السعدي الناصر

[1] – شوقي الجمل : المرجع السابق، ص ص 179، 180.

أخا المتوكل و لم يكن موضوع العرائش يقتصر على أسبانيا و المغرب بل كانت انجلترا شديدة الاهتمام بالحصول على ميناء مغربي وكان اهتمام انجلترا منصبا على العرائش ليس فقط بسبب موقعه المهم بل لتحبط المشروع الأسباني، و كان فليب الثاني شديد الاهتمام بالحصول على العرائش ليقضى على مطالع الانجليز في هذا الميناء و كان يصرح علنا أن العرائش تساوي وحدها بالنسبة له كل إفريقيا وفي سنة 1581م/989 هـ أحرز فليب تقدما مسألة العرائش فقد وضع المفاوضون المغاربة و الأسبان مشروع اتفاق وقعوه بالأحرف يقضي بتسليم العرائش لإسبانيا[1] لم يصادق المنصور على المعاهد ولجأ إلى المماطلة، و يبدأ أن المساعي العثمانية و الانجليزية شجعت المنصور وفي بداية سنة 1582م/990 هـ قرر فليب الثاني إنهاء مسألة العرائش وطالب تحديد وقت لتسليمها على أن يكون في صيف هذا العام، و أمر مبعوث المكوث في أصيلا[2] انتظارا لجواب المنصور خلال هذه، المماطلة كانت الأموال والهدايا تتدفق على المنصور دون جدوى حتى أن المغاربة فسروه على أنه ابتزاز وسخرية و في سنة 1589م /997 هـ اقتنع ملك إسبانيا سيود نية المنصور بعد أن رآه يقدم على تحصين العرائش بمساعده إنجليز وأظهر المنصور خلال هذه الفترة حنكة بالغة فقد لوح للإنجليز بإمكان مساعدة الدون أنطونيو لاستعادة عرشه في البرتغال و أكتفي بتهديد سبته و مقابل ذلك حصل من فليب الثاني على ميناء أصيلا سنة 1589م/997 هـ كثمن لحياده ولجأ المنصور بعد حصوله على أصيلا إلى مماطلة الانجليز متذرعا بحجة انشغاله بحملة السودان 1591م – 1593م/ 999 هـ –1001 هـ و في سنة 1595م/ 1003 هـ حدث تبدل عنيف إذا كانت إسبانيا تحتفظ بالناصر ابن عبد الله الغالب فأجتمع رأيها على توجيه ضربة ما حقه

(1) – محمود علي عامر ، محمد خير فارس : المرجع السابق، ص ص 63، 64.

(2) – أصيلا :مدينة مغربية تقع على شاطئ المحيط الأطلسي.

و قاسية لجيش المنصور و مدت لذلك سائر إمكانيات جاعلة على رأس كل ذلك الشقي الناصر، و قد استنفرت حقيقة هذه المناورة الخطيرة.

و الموقوتة استعداد المنصور للأندلس قبل أن يتمكن من اجتثاث دابر الناصر[1] وحيث تم له القضاء على الناصر كاتب الشخصيات البارزة في العلم الإسلامي[2] وزاد سخط المنصور على فليب الثاني تخطيطه لاحتلال جزيرة أرجوين والشاطئ الصحراوي المواجهة لها ، دفع هذا كله المنصور إلى السعي لعقد حلف مع ملكة إنجلترا إليزابيث و ملم فرنسا هنري الرابع مع احتمال انضمام هولندا و تردد الحديث حول مشاريع مشتركة ضد إسبانيا و اقتسام ممتلكتها إلا أن الأمور وقفت عند هذا الحد فقد وجدت ظروف شغلت المسؤلين في المغرب و الدول الأوربية المعنية في ميادين أخرى [3].

ـ حملة المنصور السعدي على السودان الغربي :

بعد الانتصار الكبير الذي حققه المنصور في وادي المخازن كما أسلفنا لاح له في الأفق توسيع مملكته، وكون التوسع شمالا وشرقا شبه مستحيل وجه المنصور أنظاره جنوبا نحو الصحراء والسودان الغربي وبدأ في الاستعداد لذلك.

ـ الاستعداد للحملة :

قبل التطرق للحديث عن الاستعدادات يجب الإشارة إلى الارهصات الأولى للحملة فقد سبقت حملة المنصور الذهبي على بلاد السودان حملات مغربية أخرى مما يدل على

---

(1) – عبد الوهاب التازي : المرجع السابق ، ص 68 .

(2) – الفشتلي : **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق عبد الكريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الثقافية، الرباط، ص 188.

(3) – محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق، ص 65.

أن السعديين كانوا منذ عهد مبكر يطمحون إلى بسط نفوذهم على بلاد السودان الغربي ليمتلكوا ثرواته الخيالة من الذهب ففي آخر أيام الاسقيا إسحاق الأول 1539م- 1549م /945 هـ-956 هـ أرسل السلطان مولاي أحمد الأعرج رسالة شديدة اللهجة يدعو فيها إلى تسليم مناجم تغازة [1] للمغاربة لكن الاسقيا عمد إلى إظهار تصلبه أمام السلطان فبادر إلى بعث حملة عسكرية من الطوارق[2] فخرجت قرية (الذراع) التي هي من أملاك مولاي الأعرج و لكنها كانت تحمل تعليمات شديدة أن لا تقتل أحد و ذلك لأن الغرض منها إظهار قوة و ليس القيام بعمل عسكري أما في عهد السلطان محمد الكبير و هو الذي خلف مولاي الأعرج على العرش المغربي فقد كلف أحد المغاربة بقتل مأمور الضرائب من طرف الاسقيا في تغزه و قد تسبب هذا الحادث في ظهور بعض الاضطرابات في المنطقة و يقال أن وفدا من الطوارق الذين كانوا يقومون بحمل السلاح على جمالهم إلى الجنوب طلبوا من الاسقيا بالتنقيب في المنطقة تقع إلى الجنوب من الممالح السابقة الذكر و قد بدأ بالفعل في عام 1562م/969 هـ بالتنقيب في محلة تغزه الغزلان ولا يهمنا هنا ضمن مقدار المرود و لكن يهمنا أن ندرك بأن قضية امتلاك مناطق الملح على حافة الصحراء الجنوبية كانت قبل عهد المنصور و قد وقع عليها التنافس بين المغاربة والاسقيين ولا نعتقد بأن طموح المغاربة للاستيلاء عليها كان لأهميتها بقدر ما كان لغاية التحكم في مصدر التجارة فما هي الأسباب التي أدت إلى حملة المنصور ؟ [3]

---

[1] - تغازة : تبعد عند الكبرى مسيرة 20 يوما عن سلجماسة بينها بطوطة من سلجماسة إلى تغازة في 25 يوما و تقع في جنوب المغرب الأقصى بغرب البحر المحيط.

[2] - الطوارق : يعرف عند العرب بالملثمين الذين يقطنون الصحراء الكبرى و يمتد توزيعهم الجغرافي من منظمة توات و حتى تمبكتو ومن فزان إلى زنمر الواقعة إلى بعد 300 ميل غربي بحيرة تشاد.

[3] - عبد القادر زبادية : المرجع السابق، ص ص 87، 88، 89.

ـ دوافع الحملة :

تعددت دوافع الحملة ويمكن أن نجملها فيما يلي:

– كان من المستحيل على أي جماعة من جماعات الصنغي أ ن تحقق لنفسها أي كسب في ظل ظروف الضعف والتقسيم التي كانت تسود البلاد و قد أدت عوامل الضعف إلى هذه الحملة.

– أن الصنغي مدت سلطانها إلى مناجم الملح عبر الصحراء في تاوديني و في أغلب الظن أن هذه المناجم كانت تقع حدود مراكش مما شجع مراكش على غزوا الصنغي [1].

– الانقلاب الذي قام به أحد أبناء محمد توري ضده فعزل الابن أباه ونفاه إلى جزيرة نهر النيجر و في سنة 1538م/944 هـ مات الأسكيا محمد توري وكان موته علامة على بداية النهاية مملكة سنغاي الذي بلغت في عهد سنغاي أعلى المراتب و فرضت سيطرتها تماما على الأراضي و الأقاليم التابعة للمملكة بواسطة حكومة مركزية على درجة عالية من التنظيم و القدرة على الإدارة [2].

– الأوضاع السيئة و تصاعد الاحتياجات المالية داخل المغرب آنذاك دفعت السلطان السعدي إلى توجيه تلك الحملة للحصول على الذهب الأفريقي.

– كان المغاربة يرمون من وراء تلك الحملة الوصول إلى مناجم الملح في تغازة والسيطرة عليها و الاستفادة منها.

---

[1] – فيج. دي. جي : تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة يوسف نصر ، المرجع السابق، ص 67.

[2] – جوان جوزيف : المرجع السابق، ص 82.

– أن السلطان أحمد المنصور الذهبي كان يسعى من وراء تلك الحملة إلى جلب الرقيق من إفريقيا لتجنيدهم في جيشه و تقوية لمركزه.

– أن التنافس التجاري بين المغرب من جهة و البرتغاليين و الأسبان من جهة ثانية المتمثل في التنافس بين القوافل الجمال و أساطيل المراكب التجارية السريعة دفع المغاربة إلى اجتياح إفريقيا جنوب الصحراء لتقوية مركزه التجاري.

– أن الدافع السياسي للحملة هو التنافس السياسي الذي كان مشتدا آنذاك بين الدولة السعدية و الإمبراطورية العثمانية و لما كان المغرب لا يستطيع التوسع شرقا حيث تهيمن قوات الأتراك اندفع جنوبا[1].

كما يذهب البعض على أن حملة المنصور الذهبي وأسبابها ليست منقطعة عن أحداث الماضي ويعطي على ذلك مثال : أنه عندما كتب المنصور حوالي عام 1542م إلى أسكيا إسحاق يرجو تعاونه وتمكينه المغاربة من الاستفادة من مناجم الملح في تغازه لمواجهة النصاري في الشمال، رد الأسقيا إسحاق ردا مهينا، وبعث بألفين من جنوده الطوارق لنهب منطقة وادي درعة المغربية التي تبعد 1500 كم شمال غربي غاو و 210 كم جنوب غربي مراكش. ومن هنا تكون حقد دفين لدى المنصور على الأسقيا[2].

و في عام 1589م/997 هـ وصل إلى مراكش عبدا أسود يدعى ولد كيرنفل فارا من سجن تيغزا، رغم أنه شقيق الأسقيا إسحاق الثاني، وهو في الحقيقة ابن أمة ولد في قصر غاغوا و تربي فيه و نشأ خليعا فسجنه سيده إسحاق في تيغزا و عندما و صل إلى

---

(1) – فيج ، دي ، جي : المرجع السابق، ص ص 68، 69 .

(2) Zakari Dramani-Issifou, **l'Afrique noire dans les relations internationales au XVI siècle** Paris, Karthala, 1982, pp. 106-107

مراكش كتب رسالة إلى السلطان أحمد المنصور في فاس شرح له الأوضاع المتردية في صنغاي وحثه على غزوها واحتلالها ووعد بأن يقدم له ضرائب طائلة إذا ما ساعده على اعتلاء عرش قاو فأغتنم أحمد المنصور وكتب رسالة مطولة إلى الأسقيا إسحاق أكد له فيها بأن تيغزا تدخل ضمن حدود مملكته و أنه سيفرض ضريبة على ملكها المستخرج وأخبره عن وصول الثائر المذكور إليه والعرض الذي تقدم به وانتظاره الجواب منه قبل أن يجبه على مطلبه وتوالت بعد هذه الرسالة إنذارات المنصور ومراسلاته وتنفيذ الأوامر التي توجه إليه ومنها تقديم خراج ممالح تيغزا ولكن الأسقيا رفض كل ذلك بإصرار وأسمع المنصور كلاما قبيحا في رده على ذكر عبد الرحمن السعدي في كتابة تاريخ السودان و عندئذ قرر أحمد المنصور أعداد حملة عسكرية لتوجيهها إلى صنغاي و احتلالها و تأديبها و تأديب أميرها العاصي وكان يظن أن الأمر سهل و بسيط لأن جيش الصنغاي لا يتوفر على أسلحة للمقاومة [1] ولما كانت سنة 997 هـ/1589م فقوي عزمه و أشتغل بتجهيز أل الحرب و ما يحتاج إليه جيش من آلة السفر و مهماته وأمر القواد أن يقوموا حصص القبائل وما يحتاجون إليه من أبل وخيل وبغال[2] والبارود والبنادق والمهاريس وخشب المراكب والعربات والمقاذيف الحديد وبراميل المياه[3] وكان يقول من أتي بجمل ضعيف يعاقب و أشتغل بتقويم آلة الحرب من المدافع والعجلات التي تحملها و الرصاص و الكور و تقويم الخشب و اللوح[4]والحديد والسفن والفلك و القلوع

---

[1] – يحي بوعزيز : **تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع ق16 إلى ق 20**، دار هومة للباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2001، ص 110 .

[2] – حسن مؤنس : **أطلس_تاريخ الإسلام** : القاهرة المطبعة الفنية الزهراء 1987، ص 104.

[3] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :المصدر السابق، ص 122.

[4] – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 115.

و الروايا لحمل الماء و ألف النجارون ذلك في البر إلى أن تألن ثم خلعوه و شدوه أحمالا و أستمر الحال إلى أن استوفي المنصور أمر الغزوا في ثلاثة سنين[1].

و لكي يضمن المنصور طول الرحلة فأن الجيش و خيوله سوف يعتمد في تموينه من الماء و الغذاء على ما تحمله الإبل في المؤخرة و الذي يتكون من احتياطي 180 خيمة و 31 ألف رطل من البارود ومئات من جلود الثيران المملؤة بماء الشرب إضافة إلى الرصاص و الأقمشة و أشياء حربية أخرى و مواد غذائية تتكون من الحبوب والتمر[2].

و قد جند المنصور 5000 من الخيالة و 2000 من المشاة و 1500 من الرماة و 2000 من جنود المدفعية و البحرية و 100 أبال و8000 جمل و 1000 حصان و بلغ عدد الجيش 20ألف جندي ضمت عددا من الأسرى الأسبانيين [3] منهم ألف من المعلمين المتطوعين[4] و أسند قيادة الحملة إلى القائد جوذر باشا الأسباني الأصل من لاس كويفاس بضواحي غرناطة و عززه بعشرة من الكبار القادة أمثال : مصطفي التركي و مصطفى بن عسكر و القائد عمار و أحمد بن يوسف القلعي و علي بن مصطفى العلجي [5] ثم أمر المنصور بإخراج المضارب لوادي تاسيفت فخرجت الأحمال و الأثقال من مراكش في اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة 998 هـ/1590م و نزلت العساكر و ضربت

---

(1) – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المصدر السابق،ص121.

(2)روسيل ورين هاو : **تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا**، ت محمد الزنتاني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر 2009 ، ص 81.

(3)يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 115.

(4)يحي جلال : **تاريخ أفريقيا الحديث و المعاصر**، ج2، المكتبة الجامعة، الحديث الإسكندرية، مصر 1999، ص119.

(5)الهادي المبروك الدالي:المرجع السابق، ص201.

أبنيتها خيلا و رجلا و تخير من الإبل كل بازل و كرماء و من الخيل كل عتيق و جرداء ثم نهضوا في زي عظيم و هيئة لم يرى مثلها و ذلك في محرم فاتح سنة تسع وتسعين وتسعمائة وعبر وادي درعه أين تزود بالمياه و القمح و الشعير و الدقيق و التمر و مر على تندوف و تيغازي و تاوديني و كارابارا وتمبكتو و لم يصل إلى أحوز قاد(غاغو) الإخلال شهر مارس 1591م/999 هـ و فقدت الحملة في الطريق الهاوية أكثر من ثلثي رجالها بسبب العطش و الأمراض المعدية و مشاق الطريق و طول أمد الرحلة التي استغرقت قرابة خمسة شهور[1].

و قبل الصدام أرسل المنصور رسالتين إلى أمير غاغو و نظرا لأهميتها سنعرض أحدهما : إلى رئيس غاغو و كبيرها و القائم بأمرها و تدبيرها إسحاق سكيه بن داود وصل الله لكم أسباب هدايته و توفيقه و جعلكم ممن انتمى إلى حزب هذا الجانب النبوي الكريم ، سلام الله عليكم ورحمته أما بعد : .....

فكاتبنا هذا إليكم من حضرتنا العلية وكرمي إيالتنا العلوية و مقر إمامتنا الهاشمية الحسنية مراكش حاطها الله ونعم الله على هذا المقام المنصور ضافية السربال وافية السبال و نبرأ على أكمل الوجوه من عهدة التكليف فقد نيطت بنا التكاليف الشرعية التي لم تنط بغيرنا أي مناط و ارتبطت بنا أي ارتباط ولا مطمع في التقصي من رقبتها والانفلات من عهدتها إلا بمواصلة الجد في السالمات و الأنا و إعمال الحزم والعزم و ترك الهوينا و متى يقع الخلاص من أعباء عرض حملها على السموات و الأرض فأبت ووعدها بالثواب عليها خالق العالم فتابت إليه سبحانه نمد أكف الضراعة في تسيير الخلاص من هذه الأثقال و منه نستمد الأمانة التي بها تنال الآمال و غير خفي على من ذاق حلاوة الأيمان و خالطت بشاشته قلبه و ألقي إلى ... قد أنطوى على مصلحة لهذا

[1] – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 116.

الجيش الإسلامي و الأسطول الجهادي الذي جعل المولى سبحانه و تعالى بأيدنا زمامه وصرف بفضله إلى إحياء دينه ولا يصلح في قانون الشرع أن تقابل بالإهمال و لا يبرى من عهدته إلا البدار إليها و الأعمال لما فيها من الإعانة لهذه الجيوش و العساكر المظفرة ..... وها نحن قد أنفذنا إليكم بما لأيمة المذهب في هذه المسألة على الخصوص وما لعلماء السنة فيها من الحجج و النصوص و البراهين المحكمة كالبنيان المرصوص لتعلموا أن للإمام فيها النظر و الاجتهاد و صرفها فيما يراه من وجوه السداد و بخاصة في إقامة فريضة الجهاد و تستشعروا مالكم في امتثال ذلك من السعادة التي تجدونها ذخرا والفلاح الذي تفوزون بليله إن شاء الله و عرفناكم بهذا لتكونوا أول من ثني إليه أعناق الرجال و أول من أجري الاستماع إليه و الامتثال و من شممتم رائحة الانحراف عن هذا الأمر العلي و الازورار فقوموا اعوجاجه بثقاف الإلجاء إليه و الاضطرار فأنتم أحق الناس و الحمد لله بحشر الناس لهذا الباب(... و ما يذكر إلا أولو الألباب...) [1] وقد كان جواب إسحاق على سفارة المنصور ورسائله سببا في وصول التوتر إلى قمته بعد أن بعث للمنصور بجواب شديد اللهجة و لقد أشتط المنصور غضبا من ذلك و هنا كانت دعوة المنصور لمجلس الشورى للرأي في ذلك.

ـ مفاوضات المنصور مع أصحابه في أمر الغزو:

ذكر الفشتلي[2] في أمر مشورة المنصور : لما رجعت إرسال المنصور إليه من عند إسحاق سكيه و أعلموه بمقالته و امتناعه و احتجاجه بأنه أمير ناحية ، و المنصور أمير ناحية و أنه لا تجب طاعته عليه. شاور المنصور أصحابه و جمع أعيان دولته

[1] – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص ص 244، 245، 246.

[2] – الفشتلي: المصدر السابق، ص 60.

وألتقي أهل الرأي والمشورة فاجتمعوا ، وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا[1] والحديث عن مجلس الشورى هذا في ذلك العصر يدل من جهة على تعلق المغرب بمبدأ الشورى طوال ممارساته السياسية [2] فقال لهم المنصور : << ... ا ني عزمت على منازلة أمير غاغو وصاحب السودان وبعث الجيوش إليهم لتجتمع كلمة المسلمين و تتحد الرعية، ولأن بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوي بها جيش الإسلام و يشتد ساعد كتيبته مع أن صاحب أمرهم والمتولي لسلطتهم اليوم معزول عن الإمارة شرعا إذ ليس بقرشي ولا اجتمعت فيه شرائط السلطنة العظمي[3] فلما نثر المنصور ما في كنانته و أبدى ما في جعبته سكت الحاضرون و لم يرجعوا بشيء فقال لهم : أسكتم استعوابا لرأي أو ظهر لكم خلاف ما ظهر لي ، فأجابوا كلهم ، بلسان واحد و رأي متفق : أن المتأخر لا يكون أعلم من المتقدم قالوا ذلك كحقيقة لا تقبل النقاش و قالوا إن ذلك رأي عن الصواب منحرف وأنه بمنأى عن الآراء السديدة و لا يخطر ببال السوقة فكيف بالملوك [4] فقال وما بيان ذلك فقالوا : إن بيننا و بين السودان مهامه فيح يقصر عنها الخطأ و تحار فيها القطا، وليس فيها ماء ولا كلا فلا يأتي السفر فيها لإعتاق طرقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذكرا وأيضا فإن دولة المرابطين على ضخامتها و دولة الموحدين على عظمتها و دولة المرنين على قوتها لم تطمع همة واحدة منهم لشيء من ذلك ولا تعرضوا

---

(1) – الفشتلي : المصدر السابق، ص 89.

(2) – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 249.

(3) – أبو العباس بن أحمد خالد الناصري: المرجع السابق، ص 113.

(4) – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 114.

لما هنالك وما ذلك إلا لما رأوا صعوبة مسالكها و تعذر مداركها و حسبنا أن نقتفي أثر تلك الدول فإن المتأخر لا يكون أعقل من الأول[1].

فلما قضى أولئك الأقوام كلامهم و أبدوا إليه رأيهم و ملامهم[2] وتبين للمنصور من خلال استشارته أن الرأي الاجتماعي الذي صدر عن المجلس و الذي يتخلص في معارضة المغامرة بالجيش المغربي في تلك المجاهل و القفار تبين له أن المستشارين يعتبرون إرسال العساكر غير داخل في حيز الإمكان مسترشدين بواقع التاريخ على عهد من قبله فقال لهم المنصور[3]: إن كان هذا غاية ما استضعفتم به أمري و قابلتم به رأي فليس فيه حجة ولا يخدش فيما عندي أما قولكم بيننا و بينها صحار مخوفة و مفاوزه مهلكة من جذبها و عطشها فنحن نرى التجار على ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت و يخوضون في أحشائها مشاة وركبانا و جماعة ووحدانا و لم تنقطع قط ركاب التجار عنها و أنا أقوى أهبة منهم و للجيش همة ليست للقوافل ولا يتوفرون على المعلومات اللازمة أما قولكم إن من كان قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح أبصارهم لذلك، فأعلموا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس و مقاتلة الإفرنج و من بذلك الساحل من أمم[4]و الموحدين اقتفوا سبيلهم في ذلك و زادوا بحرب ابن غانية والمرينيون كانوا هم الآخرين يقارعون من أجل استرجاع تلمسان من بني عبد الواد بتلمسان و نحن

---

(1) – عبد الله العروي : المرجع السابق، ص 477.

(2) – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ص 114.

(3) – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 250.

(4) – اليفرني : **نزهة الأحادي في أخبار ملوك القرن الحادي** (بدون تاريخ) فاس، المغرب، ص ص 76، 77.

اليوم قد انسدت عنا أبواب الأندلس باستيلاء العدو عليها جملة و أنفضت عنا حرب تلمسان و نواحيها من الجزائر باستيلاء الترك عليها [1].

و كان المنصور يعرف أكثر من غيره عن الوجود الأجنبي الذي أخذ يستفحل في إفريقيا كان يعلل عدم تدخل المرابطين و الموحدين و بني مرين بعدم وجود ما يبرر ذلك لان الممالك الإفريقية التي كانت على صلة قوية بالمغرب لم تكن معرضة للاستغلال الخارجي أو تهديد أجنبي أما اليوم فان وجود عنصر آخر بتلك الجهات المجاورة له يعني تهديده هو و بالتالي الإجهاز على تلك الممالك بالغرب الإسلامي و هذا ما يقصده بقوله للعلماء و الأقاليم الإفريقية و الأندلسية قد شغلت لهذا العهد بمن استولى عليها من العجم فصرف الوجهة لأصقاع الجنوب و ممالك السودان أحق و أولى بالتفاف العزائم فهي و إن كانت أصعب فإنها أغزر نفعا [2] ثم إن أهل تلك الدول لو أرادوا ما أردنا لصعب عليهم لأن جيوشهم كانت فرسانا رامحة و رماة ناشبة و لم يكن عندهم هذا البارود و عساكر النار مرهبة الصواعق و أهل السودان ليس عندهم الآن إلا الرماح و السيوف و هي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة فمقاتلتهم سهلة و حربهم أيسر من كل شيء و أيضا فإن بلاد السودان أنفع من افريقية فالاشتغال بها أولى من منازلة الترك لأنه تعب كثير في نفع قليل فهذا جواب ما عرض لكم و لا يحملنكم ترك الملوك الأول ذلك على استبعاد القريب واستصعاب السهل فإنه كم ترك الأول للأخر و قد يفتح على المتأخر بما لا يفتح به على المتقدم [3] فلما فرغ المنصور من خطابه و أبدى ما في جعبته استحسن الحاضرون جوابه و استملحوا إثارته و إستجادوا رأيه و قالوا له : قد أطبقت المفصل و ألهمت الصواب

---

[1] – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 115.

[2] – الفشتلي: المصدر السابق، ص 128.

[3] – أبو العباس أحمد خالد الناصري : المصدر السابق، ص 116.

و لم يبق لأحد ما يقول و صدق من قال : عقول الملوك ملوك العقول ، فانفصل الجمع عن البعث للسودان و مناهضة أهله و متابعة المنصور في رأيه عليه [1] و في كلام المنصور أمران يحتجان إلى مزيد بيان الأول ما قاله من أن الملثمين لم تكن لهم سلطنة على السودان يعني بهم المرابطين الذين قاموا بأرض المغرب و دبروا أمره مثل يوسف بن تاشفين و بنيه فلا يرد عليه [2].

إن أبا بكر بن عمر غزا السودان و فتح منه مسيرة 3 أشهر لان ذلك كان بعد رجوعه إلى الصحراء و استقراره بها و أعراضه عن ملك المغرب بالكلية وأما الثاني ما قاله: من إن البارود لم يكن في تلك الدول الفارطة يعني لم يكن موجود فيها بكثرة بحيث يستغني به الجيش عن غيره ساعة القتال فلا يرد عليه إذ أن ظهوره كان في أوائل المائة السابعة لأول دولة بني مر[3] وهكذا راجع مجلس الشورى موقفه فزكي رأي العاهل فيما يقصد إليه[4].

ولما أدرك أسكيا إسحاق نوايا المنصور فسحب قواته من غربي جاو [5] و احتشد أمم السودان و قبائلها وقبائل الملثمين المهادنين لهم و خرج من مدينة غاغو يجر الشوك و المدر و يقال أنه جمع مائة ألف مقاتل [6] و في رواية أخرى قدرت قواته بـــ 80 ألف

---

(1) – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص113.

(2) – اليفرني : المصدر السابق، ص 90.

(3) – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ص 114.

(4) – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 250.

(5) – عطية مخزوم الفيتو ري : المرجع السابق، ص 313.

(6) – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ص 122.

رجل [1] و في رواية ثالثة قدرت قواته بثلاثين ألف من المشاة و ألف و خمسمائة من الخيالة [2] و قال الفشتلي في كتابة مناهل الصفاء: و لم يقنع أسكيا إسحاق بالجيوش التي جمع حتى أضاف إليها أشياخ السحرة و أهل النفث في العقد و أرباب العزائم ظنا منه أن ذلك يغنيه شيئا [3] أما أسلحتهم فكانت بدائيه مقارنة بأسلحة المغاربة و كانت تتمثل في الرماح و السيوف ، كما أرسل اسكيا إسحاق إلى زعماء الصحراء يأمرهم بردم الآبار حتى لا يستفيد منها الجيش المغربي [4].

مجريات الحملة : مرت حملة المنصور على السودان الغربي بعدة مراحل هي:

– غزو منطقة توات و تيكوارين :

أدرك المنصور أنه لن يتم له غزوا سنغاي ما لم يسيطر على منطقة توات لما لها بعد استراتيجي و أهمية كبرى في التجارة الصحراوية [5] فأرسل المنصور لسكان تـــوات كتيبة طالبا الدخول في طاعته لكنهم أبو ورفضوا وردوا ردا قبيحا و كان هذا الإقليم يتمتع باستقلال شبه تام ولإجبارهم على الدخول في طاعته أرسل المنصور القائدين احمد بـــن بركه و أحمد بن حداد العمري المعقلي في جيش عظيم ســـنة 989 هـــــ / 1581 م[6] ولما وصلوا إلى توات طالبوا أهلها بالبيعة للمنصور لكنهم رفضوا وأعدوا العدة للمقاومة

---

[1] – يحي جلال : المرجع السابق، ص 116.

[2] – الفشتلي : المصدر السابق، ص 131.

[3] — أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 122.

[4] – عطية مخزوم الفيتو ري : المرجع السابق، ص 313.

[5] – الفشتلي : المصدر السابق، ص 76.

[6] – عمر سامح البر : **الأتراك والعثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت لبنان 1979، ص 324.

وفي هذا الشأن يقول الوفراني: ((...لما استقر المنصور..وامن مقاتلة الترك طمحت نفسه إلى التغلب على بلاد توات وثيكرارين.. إذا كان أهلهما قد انفكت عنهم أيدي الملك منذ زمان ولم يستولي عليهم سلطان...))[1].

ووقعت معارك طاحنة استمرت عدة أيام انتهت بهزيمة التواتين و مقتل عدد كبير منهم و ارتكب جيش المنصور مجازر كبيرة في حق السكان و خرب ممتلكتهم و تم إجبارهم على البيعة[2] ويذكر اليفرني مقاومة سكان توات و تيكوارين بقوله : **((...وأبلى القوم في الدفاع من وراء الجدران و امتنعوا عن إلقاء اليد حتى اقتحموا عليهم البلاد غلابا و تناولتهم السيوف و انطلقت أيدي العساكر بالنهب والعبث في المنازل**[3] **...))** ويذكر الفشتلي الروع الذي لحق بالسكان الذين فضلوا المقاومة على الانصياع : فتناولهم القتل و حكموا السيف في الرجال منهم و النساء و الولدان حقا عليهم حتى تلت سواعدهم فتنادوا بهدم القصبة عليهم و استصال شافتهم بالردم على الخوارج فلم يبق منهم ولا من حيوانهم و سائر من يدب على الأرض من نعمهم ودوابهم عين تطرف[4] و بهذا النصر فرح المنصور فرحا عظيما و قوى عزمه على السير نحوى السودان.

الحملة على السودان الغربي:

غادر جيش المنصور مراكش في صدر محرم عام 999 هـ/ أكتوبر 1590م وسار الجيش على و وتيرة الانضباط على ما يحكى الفشتلي و بعد أن خيموا بأصقاع درعه حيث شيعهم هناك الحاجب القائد أبو محمد عزوز بن سعيد الوزكيتي استقبلوا

---

(1) محمد الصغير الوفراني : المصدر السابق، ص 87.

(2) – مبارك جعفري : المرجع السابق، ص ص 78، 79.

(3) – اليفرني : المصدر السابق، ص 76.

(4) – الفشتلي : المصدر السابق، ص 78.

الصحراء يوم 24 صفر 999 هـ /22 ديسمبر 1590م مستعينين بالوصلة [1] و قبل أن يلتحم بعث القائد جوذر إلى السلطان إسحاق برسالة يتوسل إليه أن يفكر في عروض المنصور و يتجنب إراقة الدماء لا مبرر لها لكن مستشاري السلطان أوعزوا إليه أن محاولة جوذر تنم عن خوف وشعور بالهزيمة وهكذا رفض إسحاق سائر ما جاء في الرسالة[2] وتم الصدام الأول بين الجيش المغربي وقوات السنغاي على بعد ثلاثة مراحل من غاو(60 كلم) وبالضبط في منطقة تونديني[3] يوم16 جمادي الأولى 999 هـ / 13 مارس 1591م[4] فعبا جوذر عساكره وتقدم للحرب فدرات بهم عساكر السودان من كل جهة وعقلوا أرجلهم مع الإبل وصبروا من الضحى إلى العصر إلا أن أسلحة السودانيين كانت بسيطة و لما كان آخر النهار هبت ريح النصر و أنهزم السودانيون فولوا الأدبار وحق عليهم البوار وحكمت في رقابهم سيوف جوذر[5] وفي هذا الصدد يقول الناصري: كان السودانيون ينادون نحن مسلمون نحن إخوانكم في الدين و السيوف عاملة فيهم [6] وجند جوذر يقتلون و يسلبون في كل وجه وفر اسيكا إسحاق في شرذمة من قومه ولم يدخل قلعة ملكه [7].

وتم اقتحام العاصمة يوم 20 رجب999 هـ / 13 ماي1591م وأحتوى على ما فيها من الأموال والمتاع حيث استقبله خطيب جامع العاصمة السيخ محمد دارامي، حيث أعطى القائد جوذر أمرا صارما باحترام أصحاب البلاد وبإعدام كل من سولت له نفسه

---

(1) – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 259.

(2) – يحي جلال : المرجع السابق، ص 115.

(3) – تونديني : على وجه التحديد تقع شمالي جاو التي كان لها تأثيرا على أظم جلال إمبراطورية الصنغاي.

(4) – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 259.

(5)– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص 122.

(6) – عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 313.

(7) – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص 123.

الوصول إلى ممتلكات المسلمين [1] إلا أن هناك رواية تقول بأن جوذر لم يدخل مدينة غاغو و إنما تحصن بها إسحاق فحاصره جوذر فيها [2] وكتب إلى المنصور يخبره الفتح و بعث إليه بهدية فيها عشرة ألاف مثقال ذهبا ومائتان من خيار الرقيق وغير ذلك وامتدت العساكر المنصورة في بلاد آل سكيه تعيث وتفسد و تسبي وتغنم [3] إلى أن راسل إسحاق من الغابات التي التجأ إليها بطلب فتح باب المفاوضات وبعد محادثات بين الجانبين كان المفاوض المغربي فيها القائد أحمد بن الحداد وتم الوصول إلى مشروع اتفاق يعترف فيه إسحاق بسيادة المنصور ويقبل نقل الملح من عنده وقد توجه علاوة على هذا بهدية إلى المنصور ويلتزم له بأداء مبلغ من الوداع كان السكان يستعملونه كعملة على نحو ما هو الأمر في الهند إلا أن هذا المشروع لن يتم إلا على مشورة المنصور وإمضائه إياه [4] ثم كتب إلى المنصور بذلك وكانت العساكر قد أصبتها الحمى وخامة تلك الأرض فأتفق رأي الأمراء على الرجوع والإقامة في تمبكتو وانسحب الجيش المغربي في بداية أبريل1591م /999 هـ من غاغو في اتجاه تمبكتو التي دخلها يوم 6 شعبان 999 هـ / 30 ماي 1591م حيث وجد فيها من جهة أخرى ما خفف عن الجيش مما كان يشعر به أثناء مقاومته في كانوا [5].

و في نفس هذا اليوم كان القائد علي العلمي مبعوث جوذر إلى المنصور قد وصل إلى مراكش يحمل مشروع الاتفاق المشار إليه كما يحمل أخبار انسحابه من كانوا [6]

---

[1] – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 261.

[2] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 123.

[3] – عبد القادر زبادية : المرجع السابق، ص 91.

[4] – روسيل ورين هاو : **تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا**، ترجمة عبد الوهاب محمد الزنتاني، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، مصر 2009، ص ص 74، 75.

[5] – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 117.

[6] – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص261.

و خلال انتظار الجواب استمر القائد جوذر في استعداداته في إنشاء السفن و بناء المراكب لاقتحام وادي النيجر في حالة رفض الملك لعروض سلطان كانوا [1] وهكذا بادر المنصور بتطهير الجواب الذي كتبه بخـــط يـــده : << ... أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنا تينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ...>> الآية (26) من سورة النمل[2] و في هذا الصدد يقول الناصري السلاوي: لما بلغ المنصور خبر الصلح قام وقعد وبعث به مع مملوك آخر و هو محمود باشا[3] وأصدر المنصور أمر بعزل جوذر باشا وإعطاء قيادة جيش إلى محمود بن زرقون باشا[4] على رأس حوالي ثمانين من الرماة و أمره أن يبقي جوذر معه و كتب إلى أمراء العسكر يعاتبهم ويوبخهم على ما فعلوه مع إسحاق من الصلح و يؤكد عليهم الرجوع إلى بلاده و إتباع محمود بن زرقون حيثما توجه ولوعبر النيل إلى العدوة الأخرى [5] وقد غادر محمود بن زرقون مراكش أوائل رمضان999 هـــ أواخر يونيو1591م وهكذا أخذ القواد الجدد طريقهم نحو الجنوب في عز الصيف [6].

ووصل إلى تمبكتو بعد 7 أسابيع و أول عمل قام به صناعة القوارب و أمر بقطع الأشجار الكبيرة في داخل تمبكتو وبخرط الألواح ونصبوا الدفوف الغليظة ونزل بالعساكر على ظاهر تمبكتو على رأس ستة آلاف، فأراح بها ثلاثا ثم شحن الغلائظ والسفن والفلك بالرؤساء والملاحين ووجوه الجند فساروا في النيل وسار السواد الأعظم في البر إلى أن

---

[1] – يحي جلال : المرجع السابق، ص 117.

[2] – اليفرني : المصدر السابق، ص 94.

[3]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 123.

[4] – محمود بن زرقون باشا : أسباني الأصل مثل أخيه جوذر أسير صغير وربي في بلاد السعديين.

[5] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 123.

[6] – عبد الهادي التازي : المرجع السابق،ص 162.

نزلوا على مدينة غاغو قاعدة ملك إسحاق سكية و كان إسحاق لما رجعت عنه العساكر إلى تمبكتو احتشد أمم السودان المجاورين له وتذمروا واصفقوا على الموت معه[1] والتقى الجمعان وبإشارة من بعض رجال إمبراطور الصنغاي للكرة على الجيش المغربي سيما وهو يعلم عن عدم تحمل قطاعات الجيش المغربي لمناخ العاصمة وكان الصدام مرة أخرى على بعد من العاصمة بالضبط في سهل بامبا شمالي النيجر بين غاغو وتمبكتو يوم الاثنين 25 ذو الحجة 999 هـ /14 أكتوبر 1591م[2] وانهزم السودانيون من سماع رعد المدافع والمهاريس وارتفاع القنابل في الجو وهدير الطبول وتبعهم العساكر يقتلون ويأسرون إلى أن غشيهم ظلام الليل و رجعوا بالغنائم والسبي فأضطر إسحاق إلى التراجع وأمر محمود أخاه جوذر أن يقيم بمدينة غاغو عامرا لها و ترك معه عددا من العسكر يكون رداء لهم [3] وتتبع إسحاق إلى أن لحقه ببعض الجهات فأوقع به وقعة شنعاء وفر في فل من قومه فعبر النيل إلى العدوة الأخرى و تبعه محمود فعبر النيل بعساكره في السفن و سار خلفه فأوقع به وقعه ثالثه احتوى فيها على ما معه من المال و الحريم إلا أن بعض السكان تآمروا على إسحاق و ابنه وبعض أنصارهما وذبحوهم جميعا قرب كرم في كبتي انتقاما لهزائمهم [4].

بعد مقتل إسحاق خلفه القائد محمد قاع و نصب نفسه إمبراطورا و أعلن خضوعه للقائد المغربي ابن زرقون في شمال الصنغاي بينما انتخب الصنغاوين في الجنوب ملكا آخر أسمه الأسقيا نوح الذي أخذ يناوش ابن زرقون في شكل حرب عصابات[5] و أظهر

---

(1) – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 123.

(2) – اليفرني : المصدر السابق، ص 95، 96 .

(3) – عبد الهادي التازي : المرجع السابق،ص 262.

(4) – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 118.

(5) – اليفرني : المصدر السابق، ص 98.

محمد قاع لقواد الجيش المغربي أنه لم يكن على اتفاق مع أخيه إسحاق حول موقفه إزاء المنصور طالبا أن ينضم إليهم لكن قواد المنصور قرروا في الأخير أن ينفردوا بمطاردة عسكية حذرا من التعرض لمؤامرة تدبر ضدهم من طرف هؤلاء الذين كانوا بالأمس القريب في صف عساكر عسكية [1]و من جهة أخرى فقد كان محمد قاع الذي كان قد تظاهر بمشاقة أخيه إنما كان يراوغ من أجل إستصفاء الملك لنفسه أو بالأحرى الجهاز على محمود باشا الذي كان يحسب لذلك ألف حساب و قد أغتنم محمد قاع فرصة صدور الأوامر بشمول الأمان لسائر السكان بعد مصرع أخيه فألتمس من قواد الجيش التنازل عن الأسطول الذي غنمه السعديون من الصنغائيين بحجة أنه ملك للرعية و ليس لأخيه وقد أرضى طلبه تأليفا له لكنه عمد في أعقاب هذا إلى إجراء تغيرات في القيادة مبعدا كل الذين لهم صلة سابقة بالجيش المغربي [2].

و حتى يعرف القائد محمود حقيقة الأمر بعث بسفيره إلى الأمير الجديد محمد قاع و كان السفير هو محمد بن عبد الملك الذي هاله ما رأى من استعداد حربي يناهز ما كان معروفا لدى إسحاق الأمر الذي جعله يحمل الأخبار إلى القائد محمود حاملا معه اعتذار الأمير عن تلقيه رغبة محمود بما هو مقبل عليه من تنظيم أحوال البلاد [3] ثم كان لمحمود وقعة أخرى ووقع الصدام مع الذي ورد يجر الشوك والمدر على حد قول الفشتلي[4] فقام محمد قاع وجمع الجموع وزحف إلى محمود باشا فنهض إليه محمود فهزمه و قتله فيمن معه من جند و أتباعه و تمهدت له البلاد و استولى عليها كليا[5] وكتب بخبز الفتح إلى

---

[1] – يحي جلال : المرجع السابق، ص 118.

[2] – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 263.

[3] – الفشتلي : المصدر السابق، ص 135.

[4] – عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 263.

[5] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ص ص 123، 124.

المنصور و كان عنده ذلك اليوم عيدا من الأعياد، أخرج فيه الصدقات و أعتق الرقاب وأقام مهرجانا عظيما خرج له عامة الناس للفرحة و النزهة وزينت الأسواق وأخرجت المدافع وتسابقت الخيول و أطعم المنصور الناس عدة أيام ، و عقد المنصور مجلسا بمراكش استمع فيه للقصائد الشعرية التي نظمت في هذه الواقعة التي حملت عند بعضهم اســـم (وقعة النيل).

انعكاسات الحملة على المغرب و السودان :

خلفت حملة المنصور السعدي على السودان الغربي جملة من الانعكاسات وفي مختلف المجالات على الجانبين وسنحاول في هذا المبحث ذكر أهم هاته الانعكاسات.

الانعكاسات السياسية و الاقتصادية :

جاء في كتاب "تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان" أن عدد الباشاوات الذين تعاقبوا على السودان الغربي في فترة السعديين[1] من سنة 1612م/ 1021 هـ إلى سنة 1660 م/1070هـ، اثنان و عشرون باشا و هم : الباشا جوذر، الباشا محمود بن زرقون، الباشا محمود الطابع، الباشا محمود لنك، الباشا محمود بن أحمد، الباشا مسعود بن منصور الباشا محمد بن محمد بن عثمان، الباشا محمد بن موسى، الباشا محمد بن القائد أحمد، الباشا يوسف بن عمر، الباشا جد بن يوسف، الباشا محمد بن أحمد، الباشا يوسف بن عمر، إبراهيم بن سعيد، الباشا علي بن عبد القادر، علي بن مبارك، مسعود بن أحمد، عبد الرحمان بن القائد حمد بن مسعود بن علي، مسعود بن منصور، محمد بن عثمان، أحمد بن علي بن عبد الله، حميد بن عبد الرحمان[2].

ولقد انقسم المغاربة عندما ملكوا تمبكتو إلى عدة أقسام وهي : أهل المراكشيين وسكنوا حومة ساري كيب ،والجامع الكبير، الدراوي من أهل درعه سكنوا حومة ساري كيب، سراك سكنوا قرية كبر، ألحاج وسكنوا حي ساريمو، الفاسيون وسكنوا قرب تمبكتو، المرسيون وسكنوا قرب تغارس، الأندلسيون وسكنوا بعضا من جهات تغاس، أهل الجبل ومعروفون في تمبكتو بار جبركي، الشاظميون معروفون في تمبكتو أيضا

[1] – ينظر مجهول: تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1899م، ص 05 وما بعدها.

[2] – الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص ص 212، 213.

بسار مي موضع، المنصور وسكنوا حومة الجامع الكبير، معروفون باركي منصور، شطوط قبيلة من الرماة [1].

ومن النتائج الحملة القبض على العالم أبي العباس أحمد بابا التمبوكتي و أهل بيته و حملوا مصفدين في الحديد إلى مراكش في رمضان من العام 1003 هـ / ماي جوان 1595م، وتحول الحكم من ملوك سنغاي إلى المغاربة[2]، اتساع الرقعة الجغرافية للمغرب فقد امتدت حدود المغرب من بين البحر المحيط من أقصى المغرب إلى بلاد بورنو المتاخمة إلى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر[3].

كما تم تشييد مقر كبير للحكم في مدينة تمبكتو، وأبانت الحملة أن هناك ممارسات خاطئة لبعض قادة و جنود الحملة، إلا أن هذه الممارسات لم تكن على علم من السلطان المنصور الذهبي و الدليل على ذلك عزله لمرتكبيها[4]. كما أسفرت عن وفاة عدد من قادة الحملة المغربية على السودان الغربي كانت نتيجة لمؤامرات القائد جوذر باشا. أما تواجد المغاربة فقد تركز في أهم مدن المنطقة كتمبكتو و جاو واقدز و سكنوا في أحياء مازالت أثرها إلى اليوم.

عمل المغاربة على تطوير المنطقة حضاريا واقتصاديا وأدخلوا دماء جديدة، اندمجت مع السكان الأصليين، و تقلدوا أرفع المناصب، وما زالوا كذلك بالمنطقة إلى يومنا هذا. وأثبتت الحملة أن قبائل الطوارق مثلت ثقلا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا

---

(1) – الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق، ص ص 213، 214.

(2) – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 204.

(3) – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ص 125.

(4) – الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق، ص 348.

يحسب حسابه، وأن أي مملكة أو إمبراطورية في المنطقة لا تقوم لها قائمة ما لم تكسب ود الطوارق[1]. وكان من نتائج الحملة تحطيم مملكة سنغاي.

أما بالنسبة للمنصور والدولة السعدية فقد مكنت من كسر طوق العزلة و الانفتاح الدولي إذ رسم المنصور صورة جديدة لطبيعة العلاقات التي تربط المغرب بالدول الأخرى بحيث أصبحت بعد الحملة هذه العلاقات تتسم بالاحترام المتبادل والاعتراف بالمكانة الدولية و يمكن تقسيم نوعية العلاقات التي أقامها المنصور على الصعيد الدولي إلى ثلاثة أنواع :

أ : علاقات متينة تطورت إلى درجة التحالف مع بريطانيا لأنها تشترك مع المغرب في معاداة اسبانيا و مساهما كبيرا في شراء منتجات المغرب من السكر والملح.

ب : علاقات حسنة وقد ارتبطت بها المغرب مع الدولة العثمانية وهولندا.
ج : علاقات حرب وعداء وهي ما كانت سائدة بين المغرب و اسبانيا بسبب استيلائها على طنجة و سبتة ومزغان وإيوائها لبعض اللاجئين السعديين المناوئين لنظام الحكم [2].

و في الجانب الاقتصادي وصل المغرب في عهد المنصور إلى أوج قوته وازدهاره فقد أمتد إلى السودان، ونجح في الحصول على الذهب، وفي احتكار التجارة الصحراوية وخاصة على الطريق الرئيسية مراكش، حسية البيضاء، تمبكتو وأصبحت أبليغ ونار ودانت مراكز كبرى على هذا الطريق الذي أصبح من أهم الطرق، وأصبحت التجارة الصحراوية تنتهي في موانئ الأطلس المغربية حيث كان التجار الأوربيون ينقلون منها الذهب و النحاس و الجلود و السكر[3]، وزادت الأرباح التي يدرها السودان على المنصور حسب أقوال من عاصره، وأكد الافراني أن المنصور تلقى كمية من الذهب

---

(1) – الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق، ص 348.

(2) – روسيل وورين هاو : المرجع السابق، ص 89.

(3) – محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق، ص 71.

بلغت حدا أصبح معه لا يدفع أجرة الموظفين إلا بالذهب الإبريز و الدنانير الثقيلة الوزن، وقد يكون توفر للسلطان 1400 مطرقة لضرب السكة يوميا و شهد لورانس ماروك الانجليزي و هو عون لشركة تجارة في مراكش، قدوم ثلاثين بغلا محملة بالذهب.

ــفي الجهة المقابلة أدت إلى اضمحلال تجارة السودان الغربي وانحطاط تمبكتو بعد الحملة[1]. وسلط على أهل السودان ضرائب حيث كانت هناك قافلة سنوية تجلب إلى مراكش هذه الضرائب، مع فراغ خزينة مملكة سنغاي بعد نهب مواردها[2]. ورجوع نصف الجيش إلى المنصور مع هدية عظيمة فيها من الذخائر مالا يحصى من ذلك: ألف ومائتان من متخير الرقيق، أربعون حملا من التبر و أربعة سروج ذهبا خالصا[3] و كذلك كمية كبير من النحاس و من قرون و حيد القرن و كمية أخرى من الخشب للصباغة تمثل حمولة 120 جملا و هذه جميعها قدمها للملك مع خمسين حصانا ولقد قدر كاتب هذه الرسالة ثمن حمولة 30 جملا بمبلغ 600 ألف جنيه إسترليني أي حوالي 8 ملايين دولار حاليا [4].

كما كان للحملة انعكاسات على التجارة منها: تنوع السلع المتبادلة بين السودان الغربي وبلاد المغرب، كثرة المراكز التجارية على جانبي الصحراء الشمالي و الجنوبي، ازدهار حركة التجارة في فترة الحضور المغربي بالسودان الغربي وما أحدثه المغاربة من تشجيع للتجار بضيافتهم في بيوتهم و تأمين الحماية لهم، و أصبحت العملة المغربية ضمن العملات التي يتعامل بها أهالي السودان الغربي، كما أورد محمود كعت أن أسعار الملح انخفضت في تمبكتو، بعد سقوط سنغاي فبيعت الكمية بخمس مثاقيل و ثلاثين، وهذا

(1) – شارل أندري جوليان : المرجع السابق، ص ص 276، 277.

(2) – محمود علي عامر ، محمد خير فارس : المرجع السابق، ص 71.

(3) – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ص 125.

(4) – روسيل وورين هاو : المرجع السابق، ص 89.

لا يدل على كساد التجارة بقدر ما يدل على ازدهار التجارة في عهد الحكم المغربي في السودان الغربي، فكثرة القوافل المغربية الحاملة للملح قللت سعره [1].

ـ الانعكاسات الاجتماعية و الثقافية:

خلفت الحملة جملة من النتائج الاجتماعية منها أن عدد الجيش المغربي خلال هذه الحملة 23 ألف رجل لم يعد منهم سوى 500 رجل، وقد مات أكثر من النصف واستقر الباقي هناك، أما بالنسبة لسكان السودان الغربي فقد نكل بهم و كانت هناك تجاوزات كبيرة من بعض قادة الحملة و جنودها تجاههم ومثال ذلك المجزرة التي ارتكبت ضد السكان العزل، و لم يستثن في ذلك حتى العلماء و الفقهاء فأقدم القائد محمود بن زرقون على حماقة كبرى و نفذ خطة خسيسة لنهب أموال سكان تمبكتو وأمر جنوده بتفتيش كل المنازل بحثا عن الأسلحة في الظاهر وهي عن الذهب في الحقيقة و استثنى في ذلك دور آل الشيخ القاضي فأسرع الناس إلى تلك المنازل لإيداع أموالهم و بعد أن أنهوا تفتيش المنازل بوحشية و عجرفة ثم حشدوا الناس في مسجد سنكري و أغلقوا عليهم الأبواب و أهانهم و أذلوهم ثم ذبحوهم جميعا بعد أن نهبوا منازلهم و هتكوا حرمات نسائهم وبناتهم، و كانت مجزرة فظيعة لم يصبر عليها أحد[2].

ومما يدل على هذه التجاوزات القصيدة التي نضمها أبو القاسم بن محمد و هو من أبناء السودان ووصف فيها فظاعة الأحداث[3]، وقد تذمر من هذه التجاوزات أحد قادة

---

(1) – الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص ص 347، 350.

(2) – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص ص 102، 103.

(3) – جاء فيها :

إلي أحكم شكيت ضعفي و فاقتـــــي وما قد جرى به القضاء والد رادتي

فيــارب إن القوم صـــــــالوا بكرهم علينا ولا لنـــــــا ســـــواك إنما نتى

المغرب في السودان الغربي أحمد الحداد وذهب خفية عبر مدينة ولاته واخبر السلطان المنصور بتصرفات الباشا محمود وغضب أشد الغضب وتأسف على ما حصل[1].

كما عمت الفوضى في السودان وانتشرت الأمراض الاستوائية المعدية والنهب و السلب والإغارة وانعدام الأمن، كما كثر غارات الأسبان والبرتغاليين على سواحل بلدان المغرب الشمالية، و الغربية والشرقية وظهرت أطماعهم في مناجم الذهب للسودان الغربي على غرار المغاربة[2] وبسبب الزواج من السيدات من جنود جيش المنصور[3] ظهرت طبقة المغاربة المولدون اللذين يختارون من بينهم الباشاوات ليحكموا البلاد ويتولوا مختلف الوظائف و يمثلون طبقة اجتماعية خاصة تدعى أرما (ARAMA) [4].

ومما عمت به البلوى بلاد المغرب من قديم استرقاقهم لأهل السودان مطلقا و جلب القطائع الكثيرة منهم كل سنة و بيعهم في الأسواق المغرب حاضرة و بادية يسمسرون بهم كما تسمسر الدواب بل أفحش و قد واصل الناس على ذلك و توالت عليه أجيالهم حتى صار كثير من العامة يفهمون أن موجب الاسترقاق شرعا هو اسوداد اللون و كونه مجلوبا من تلك ناحية [5].

أما في الجانب الثقافي فقد أولى المنصور بعد الحملة عناية كبرى لشؤون الثقافة فتجددت حركة العلم و الأدب و احتل رجالها مكانتهم المرموقة في المجتمع المغربي

فكم من عسر أبدلت باليسر إن تشاء فمـــــا شك في ضد يده المقــالتي .

ينظر الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 209.

(1) – الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 210.

(2) – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 126.

(3) – فيج، دي، جي : المرجع السابق، ص 68.

(4) – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 127.

(5) – أبو العباس احمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ص 131.

ونشطوا في تأليف الكتب في شتى العلوم و الفنون و الآداب و من أسباب الازدهار العلمي و الأدبي تفتح المغرب على الخارج و توافد أعداد من المفكرين من الأندلس والسودان مما أغنى الحركة الفكرية مما حملوه من فنون و معارف و كان من بين هؤلاء النوابغ علماء فطاحل في الطب و الفلسفة الحساب و الحيوان و النبات و على أيدهم نبغ كثير من المغاربة[1] ومثال ذلك أحمد بابا التمبكتي الذي شرط عليه البقاء في مراكش بعد السجن وبعد خروجه تصدى لنشر العلم و هرع الناس للأخذ عنه [2] ومن العلوم كانت سائدة العلوم الشرعية كالفقه و الحديث و التفسير و غيرها كما شهدت العلوم الأدبية أيضا انتشارا واسعا وكان المنصور الذهبي نفسه متضلعا فيها و من بين الأدباء ذلك العصر والمؤلفين في المادة علي ابن عبد الواحد صاحب ديوان الخطب و النابغة الهوزالي و عبد العزيز الفشتلي صاحب مقدمة لديوان المتنبي و غيرهم من هؤلاء.

كما ازدهر علم التاريخ بصفة خاصة ازدهارا فريدا فكثرت فيه المؤلفات وتعدد المشتغلون به ولولا عناية أولئك المؤرخين بما كتبوه لكان من الصعب علينا أن نحيط تماما بمجريات الأمور في عهدها و من بين المؤرخين العظام المقري صاحب كتاب نفح الطيب و عبد العزيز الفشتلي و أبي العباس ابن القاضي و محمد بن علي النسب وغيرهم و مما يدل على تقرير المنصور الذهبي للعلم و أهله أنه بذل ألوف الدنانير الذهبية لتدعيم العلم ورجاله كما بذل اهتماما كبيرا بعلوم الرياضيات من فلك و هندسة وحساب وفي الطب نبغ كثير من المغاربة و نالت هذه المادة العناية الفائقة من الدولة، أما بالنسبة للسودان فان أحمد بابا التمبكتي لما رجع إلى تمبكتو و جدها في حالة يرثى لها من

[1] – عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 225.

[2] – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 204.

تدهور اقتصادي و عمراني و ثقافي و هجرها اغلب سكانها خاصة العلماء والفقهاء والأدباء و المفكرين إضافة إلى تنكيل الجيش المغربي بعلماء و فقهاء السودان [1].

و الدليل على ذلك ما فعل بأحمد بابا التمبكتي عندما حمل مصفدا إلى مراكش و معه الكثير من العلماء و خلال الطريق نهبت كتب أحمد بابا التمبكتي و أتلفت و عدد مجلداتها 1600 مجلد و تعرض لمحنة [2] وهو من هو في العلم و الصلاح و سداد الرأي ، حيث يقول مؤرخ الدولة السعدية محمد الصغير اليفرني :فحملوا مصفدين في الحديد إلى مراكش و معهم حريمهم و نهبت كتبهم و أموالهم حيث قال أحمد بابا: أنا أقل عشيرتي كتبا نهبت لي 1600 مجلد [3] و ركدت الثقافة في تمبكتو بعد ما كانت حاضرة الثقافة.

[1] – عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص226.

[2] – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 203.

[3] – اليفرني : المصدر السابق، ص 81.

ـ الحملة في نظر السودانيين و المغاربة :

اختلفت وجهات نظر المؤرخين للحملة بين السودان الغربي والمغرب نتيجة لدوافع ومنطلقات مختلفة وكل حسب وجهة نظره.

ـ الحملة المغربية في نظر السودانيين :

أورد كعت على أن أول صدام بين جيش المنصور و جيش أسكيا قائلا : ورأيت بخط الفقيه الإمام أبي بكرس بن عمر أن القتال بين أسكيا إسحاق وأهل مراكش في سنكى في طرف تندبي ضحى الثلاثاء ، سادس عشرمن جمادى الأول عام 999 هـ/1591م أن أول القتال و المضاربة بينهما كانت في سنكى ... ولما فسد أمر سنغي... من خلال النص السابق يتضح وجه النظر السودانية في ترحيبهم بالحملة من عدمها و نلمس من عبارة و لما فسد أمر سنغي بمعنى أن الحملة جاءت لتصلح ما فسد من أمر سنغاي [1] أما صاحب الترجمان فله رأي في الحملة بأن وصفها بالجهاد و إعلاء الكلمة و هذا يدل عن رضائه التام عن الحملة و أنها جاءت لتغير واقع متدن من فساد سياسي و اقتصادي و اجتماعي حتما على السلطان المغربي التدخل لإصلاح ما فسد و قد أورد صاحب الترجمان ما نصه : واصل الباشا محمود بن زرقون الجهاد و إعلاء الكلمة حتى دان له الخلق و خضعت له البلاد في عامين [2] أما صاحب مخطوط صاحب حديقة البستان فإنه هو الآخر اعتبر حملة المنصور نقطة تحول في تاريخ المنطقة من سيء إلى أحسن وقـــال فيهـــم عبد الرحمن السعدي و رما هم الله بجيش جوذر فأجتثهم من عروقهم، وقد رحب عدد من أهالي السودان العربي بمقدم الحملة وقال فيها الشعراء ، شعرا مدحوا فيه

[1] – الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص ص 204، 205.

[2] – محمود الاروانى : الترجمان مخطوط، ص ص 11، 18.

المنصور و من هؤلاء الشعراء الشاعر و العالم عبد الله ابن سيدي مولود فال من أبناء تمبكتو و لد عام 957 هـ / 1550م وقد برع في الشعر، ارتجل قصيدة في حق السلطان المنصور عدد أبياتها ثلاثة وثلاثون بيتا[1].

وخلاصة القول حول الحضور المغربي من وجهة نظر سودانية نورد الآتي:

أ : اعتبر أهل السودان على عدد من علمائهم و مؤرخيهم أن الحملة كانت نتائج حالة من الفوضى و الانحطاط مرت بها منطقة السودان الغربي نتيجة الصراع على كرسي الحكم ، الأمر الذي ترتب عليه اختلال في الأمن و صراعات دموية انعكست على الوضع الاجتماعي و بذلك انتشرت الرذيلة بأنواعها و اعتبر بعضهم ذلك نتيجة لفساد أمر سنغاي و وصفها آخر بالجهاد لإعلاء كلمة الله لأنه شعر بتدني العمل بالدين و نشر الرذيلة و قال عنها عبد الرحمن السعدي بأنه عقاب من الله لأهل السودان الغربي بما اقترفت أياديهم بجيش جوذر فأقتلعهم من جذورهم و كل هذه الآراء وغيره تنم عن رضاء تام عن الحملة و أنها لم تكن كما يخيل للبعض أنها نهب لخيرات السودان و لو كانت كما يظن البعض فإن السودان معروفة للمغرب قبل دولة سنغاي و لكن الحملة جاءت لتصحيح مسار منطقة بحالها[2].

---

(1) – جاء في القصيدة :

بمقدم وفد النصر حل بناء البشر و أشبعت الأرواح و أنشرح الصدر

فيا مرحبا حقا ويا بشر به لقد كمنا فيض كما أجبر الكســـر

فأرض بها المنصور حل جديره يفخـــــر و له الأمام لها فخــر

ينظر: الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 205.

(2) – نفسه: ص ص 205، 214.

ب : و في الوقت نفسه أستاء عدد من مؤرخي و علماء السودان الغربي من ممارسات بعض قادة الحملة مثل محمود بن زرقون و جوذر و لكنهم اعتبروا تصرفاتهم شخصية لم تصدر لهم من مراكش و الدليل على ذلك عدم رضاء القائد المغربي أحمد الحداد عن تصرفات الباشا محمود بن زرقون و أخبر السلطان المغربي المنصور عما بدر منه وعزله.

ج : كشف بعض علماء و مؤرخي السودان الغربي على أن هناك أعدادا هائلة من أبناء السودان الغربي كانوا مع الجيش المغربي في تطهيره للمنطقة[1].

د : أوضحت الدراسة من وجهة نظر سودانية عن بقاء عدد كبير من المغاربة في السودان الغربي ، بعد رجوع الحملة عام 1112 هـ / 1700م ، امتزجوا مع السكان الأصليين، عرفوا بالرماة.وما تمر على منطقة من مناطق السودان الغربي إلا و تجد فيها أسرة مغربية تعرف بالرماة و خاصة في المدن الكبرى و حالة هؤلاء ميسورة و جزء من أبنائهم يشغلون مناصب في دول السودان الغربي و قد التقيت بعدد منهم في تمبكتو و جاو وجني و أقدز ، وغيرها من مناطق السودان الغربي فلو أنهم لم يندمجوا مع السكان الأصليين لما استمروا لهذه الفترة بل أنهم ساعدوا على تحسين النسل في السودان الغربي وطوروا المنطقة سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا و علميا و بنو المساجد و محوا بأخلاقهم النبيلة رواسب الماضي من ممارسات لأخطاء عدد من قادة الحملة [2].

كما عارض أحمد بابا [3] الغزو المغربي وكان من أشد المعارضين للتواجد المغربي و رفض البيعة للمنصور و أستنكر ما أقدم عليه القائد المغربي محمود بن

---

[1] – محمود الاروانى : المصدر السابق، ص 19.

[2] – الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص ص 214، 215.

[3] – أحمد بابا التمبكتي : ينسب إلى أسرة أوقيت ذات الشهرة و المكانة العلمية في تمبكتو.

زرقون و قد أسرع الخطى إلى مراكش و اشتكى للسلطان أحمد المنصور ما حصل لهم و مما يدل على رفضه الحملة الحوار الذي دار بينه و بين المنصور : قال أبو عباس إلى المنصور أي حاجة لك في نهب متاع وضياع كتبي ... [1].

فقال له المنصور: أردنا كي تجتمع الكلمة و أنتم في بلادكم من أعيانها فان أذعنتم أذعن غيركم ، قال له أبو العباس: هلا جمعت الكلمة بترك تلمسان و ما يليها من البلدان فإنهم أقرب إليكم منا فقال له المنصور: قال النبي صلى الله عليه وسلم (... أتركوا الترك ما تركوكم...) فامتثلنا الحديث، فقال أبو عباس: ذلك زمان، وبعده قال أبو العباس : لا تتركوا الترك ولو تركوكم [2].

ـ الحملة في نظر المغاربة :

يعتبر المؤرخون المغاربة في مختلف العصور أن حملة المنصور السعدي على السودان الغربي و توات و تيكورين و باقي المناطق التي أخضعها تحت سلطته فتحا مبينا، وراحوا يقدمون مجموعة من الحجج للتأكيد على ذلك، وخير مثال على ذلك ما أورده الوفرني في كتابه نزهة الحاد في أخبار ملوك القرن الحادي حيث و ضعها تحت باب : ذكر الخبر عن فتح المنصور لبلاد السودان [3] أما المثال الثاني ما أورده عبد العزيز الفشتلي في كتابه "مناهل الصفاء"[4] من مديح وثناء نثرا وشعرا للمنصور.

---

[1] – الفشتلي : المصدر السابق، ص 78.

[2] – يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص ص 204، 205.

[3] – اليفرني : المصدر السابق، ص 88.

[4] – جاء فيها قوله:

فدم لفتـــــوح يستحـــث لينـــلـــها إلى كل قطر منك ذو لجب بحر

فتوح جنى المنصور في عرصاتها أزهر نصر يانع من غصونها .

كما أعتبر بعض المؤرخين على أن هذا الفتح جاء لتوحيد الصف وكلمة المسلمين وذلك ما قاله المنصور عند محاورته لأحمد بابا التمبوكتي :أردنا أن تجتمع الكلمة[1] وأعتمد المؤرخين على ما دار بين المنصور والعلماء و أعيانه في مشاورته ذالك و أن هذه الحملة المنصورية لها صلة بنشر الإسلام في تلك البقاع لان أفارقة جنوب الصحراء كانوا مسلمين في تلك الآونة ثبت بطلانه مؤخرا فقد أوضح عدد من الباحثين أنه على الرغم من أن حكام سنغاي كانوا مسلمين وكانت في البلاد مراكز ثقافة إسلامية مثل تمبكتو فإن أغلبية الشعب بقي على وثانيته دون أن يبذل الحكام جهدا لأسلمت المحكومين بل أن بعضهم كان يجد في الإسلام عدو لمطامعهم السياسية ومن هنا فان من بين دوافع عمل المنصور، العمل على نشر الإسلام وتعزيزه في تلك البلاد [2].

أما الدكتور علي القاسمي فيرى أن استخدام الكثير من المؤرخين عبارة الاستعمار المغربي للسودان أو الغزو المغربي للسودان، عندما يتطرقون للاتصال المغرب بأفريقيا في زمن[3] المرابطين أو السعديين و سايرهم في ذلك عدد من الأفارقة فإن قواعد علم المصطلح لا يسمح باستخدام المصطلح ينتمي إلى منظومة مفهومية حديثة للتعبير عن مدلولات تعود إلى عصور سابقة لقد ظهر مصطلح الاستعمار للدلالة على توسع الدول الأوربية في إفريقيا و الشرقيين الأدنى و الأوسط و خاصة عند القرنين 19 و 20 م حين ما أخذت بريطانيا و أمريكا و فرنسا وألمانيا و بلجيكا و اليونان و روسيا و اليابان يتنافسون في استحواذ على مستعمرات.

ينظر: الفشتلي : المصدر السابق، ص 109.

(1) – يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 121.

(2) – اليفرني : المصدر السابق، ص 130.

(3) – علي القاسمي: مداخلة (**العلاقات المغربية جنوب صحراء كيف تفسر الأحدث**)، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس من 13 –25 أكتوبر 1992.

إن استخدام هذا المصطلح بصورة دقيقة أمينة يتطلب من الباحث مراعاة الخصائص المميزة و الشروط و الحدود و المواصفات اللازم توفرها في المفهوم الذي يعبر عنه هذا المصطلح لأن كل مفهوم ينتمي إلى منظومة مفهوميه لصيغة بميدان معرفي و معلوم و زمان معين ومكان محدد مما يفرقها عن المنظومات المفهومة الأخرى إن إطلاق مصطلح الاستعمار على اتصال المغرب بإفريقيا هو خطأ صارخ لا يضاهيه إلا خطأ استخدام مصطلح الجهاد مثلا لوصفه احتلال فرنسا لشواطئ الجزائر يقصد استعمارها عام 1830م/1245 هـ أو احتلال ألمانيا النازية لبولندا 1939 م /1358 هـ ذلك الاحتلال الذي أشعل نيران الحرب العلمية الثانية [1].

[1] – علي القاسمي: المرجع السابق.

الخـــــاتمـــــة :

وفي ختام هذا البحث الذي حولنا من خلاله إعطاء نبذة وجيزة عن حملة المنصور السعدي وعرجنا من خلاله التعريف بمنطقة السودان الغربي وأهم المماليك التي قامت بداخله ثم حاولنا إعطاء نبذة وجيزة عن الدولة السعدية خاصة في عهد المنصور الذهبي، وتطرقنا لشخصيته و إنجازاته و علاقته بالدول المجاورة، كما تحدثنا عن مملكة سنغاي ونشأتها، إلى جانب بعض الملامح من أوضاعها السياسية، والاقتصادية والاجتماعية. كما تناولنا في البحث أسباب الحملة و كيف تم الاستعداد لها، وأهم مجرياتها. ثم خلصنا إلى أهم النتائج و الانعكاسات التي تمخضت عنها في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية و الثقافية والاجتماعية على ضفتي الصحراء. وختمنا الموضوع بنظرة المغاربة و سكان بلاد السودان الغربي للحملة.

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع خلصنا إلى مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات يمكن أن نوجزها في ما يلي :

عرفت منطقة السودان الغربي والمغرب الأقصى فترة استقرار وازدهار في مختلف المجالات جسدته كل من الدولة السعدية ومملكة سنغاي.

– شكلت معركة وادي المخازن علامة فارقة للدولة السعدية وزادة من طمح المنصور في التوسع وتشكيل إمبراطورية واسعة الأرجاء تمتد من المغرب شمالا إلى السودان الغربي جنوبا هو بالتالي حاول مقارعة العثمانيين الأتراك الذين وصل نفوذهم للجزائر.

الأساسي لتجارة الذهب والعبيد عالميا وبالتالي أراد المنصور السيطرة على هاته التجارة وازدياد نفوذه السياسي والاقتصادي إلى جانب أسباب سياسية و اجتماعية.

تمكن جيش المنصور من الوصول إلى السودان الغربي عبر صحراء قاحلة ومقفرة مستفيدا من خبرته في معارك سابقة وتسليحه ويمكن القول حسب علمنا أنه كان أول جيش منظم يعبر الصحراء من الشمال.

واجهت الحملة مقاومة عنيفة من طرف السكان وفي مختلف المجالات ووقف في وجهها الكثير من العلماء ومنهم الشيخ أحمد بابا التمبكتي أشهر علماء السودان الغربي خلال نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر.

خلفت الحملة جملة من الانعكاسات وفي مختلف الميادين لعل من بينها:

اتساع رقعة الدولة السعدية حيث أصبحت تمتد من المغرب إلى السودان الغربي مرورا بالصحراء وبالتالي التحكم في الطرق التجارية مما جعل الدول الأوربية تنشد ود المنصور لتسهيل و صولهم إلى المراكز التجارية في غرب إفريقيا وبروز شخصية المنصور على الساحة الدولية وامتلاء الخزينة بالذهب حيث أصبحت له 14 مطرقة لسك العملة الذهبية ومن هنا حمل لقبه المنصور الذهبي.

كان للحملة انعكاسات خطيرة على الإسلام والعلاقة بين ضفتي الصحراء وأدت إلى حدوث شرخ كبير في العلاقات بين جنوب الصحراء و شمالها كما تسببت في تدمير إمبراطورية إسلامية عرفت بتطورها وازدهارها وتعرض مخزونها الثقافي للنهب والسلب نتيجة لإحراق المكتبات واعتقال العلماء ومنهم أحمد بابا التمبوكتي الذي أضاع مكتبة كان بها أزيد من 1600 مجلد كما فقد معظم أفراد الجيش الذي شارك في الحملة بسبب الأمراض و القتال وبعد المسافة في وقت كان الأسبان والبرتغاليون يتحرشون بالعالم الإسلامي وكان من الأجدر تسخير هذه القوات لطردهم.

لم يستتب الأمر نهائيا للسعديين في مملكة سنغاي بل شهدوا مقاومة عنيفة في مناطق

مختلفة في البلاد رافضة للوجود السعدي إلى غاية خروجهم.

ــ أثارت الحملة اختلاف بين المؤرخين حيث يعتبرها البعض فتحا وأكثرهم من المغاربة ومن يعتبرها غزوا و احتلالا لعدة أسباب منها: كون سكان السودان الغربي كانوا مسلمين و ليسوا كفارا منذ القرن الرابع الهجري، بل أكثر من ذلك كانوا مالكيين ولا يختلفون عن المغاربة في شيء، وإن كان المنصور يريد توحيد بلاد المسلمين فكان الأجدر به الانضمام إلى الخلافة العثمانية ومشاركتها في حروبها ضد الأوربيين بدل من توجيه قوته لدولة إسلامية بينما سبته ومليلة محتله.

وفي الخير نتمنى أننا أسهما ولو بجزء بسيط في التعريف بهذا الموضوع كما نجدد شكرنا لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد ونتمنى أن تتاح لنا فرص أخرى لمزيد من البحث والاستفادة.

الملحق رقم 01 :

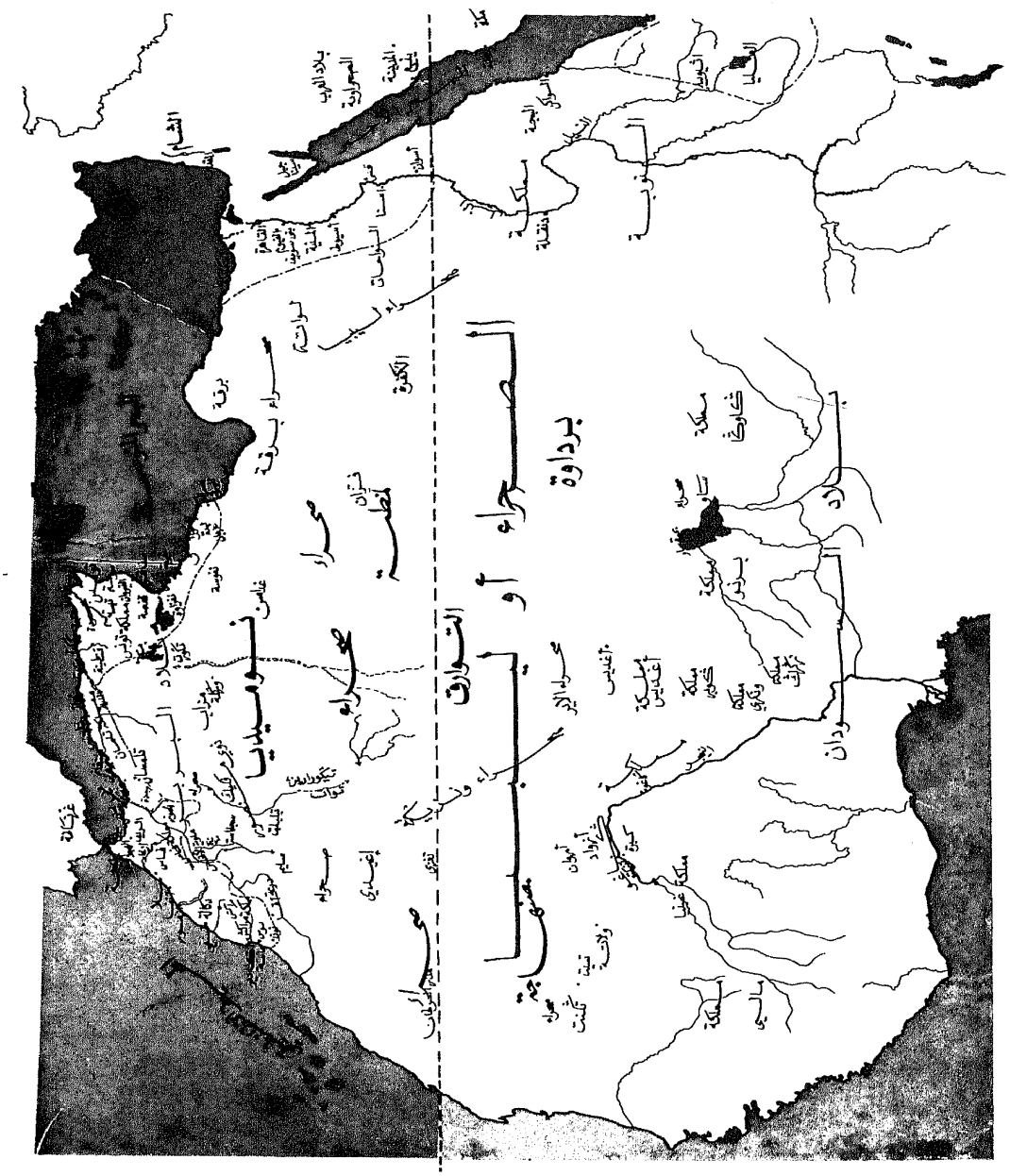

خريطة لشمال أفريقيا والسودان الغربي عن مبارك جعفري: المرجع السابق، ص327.

الملحق رقم 02

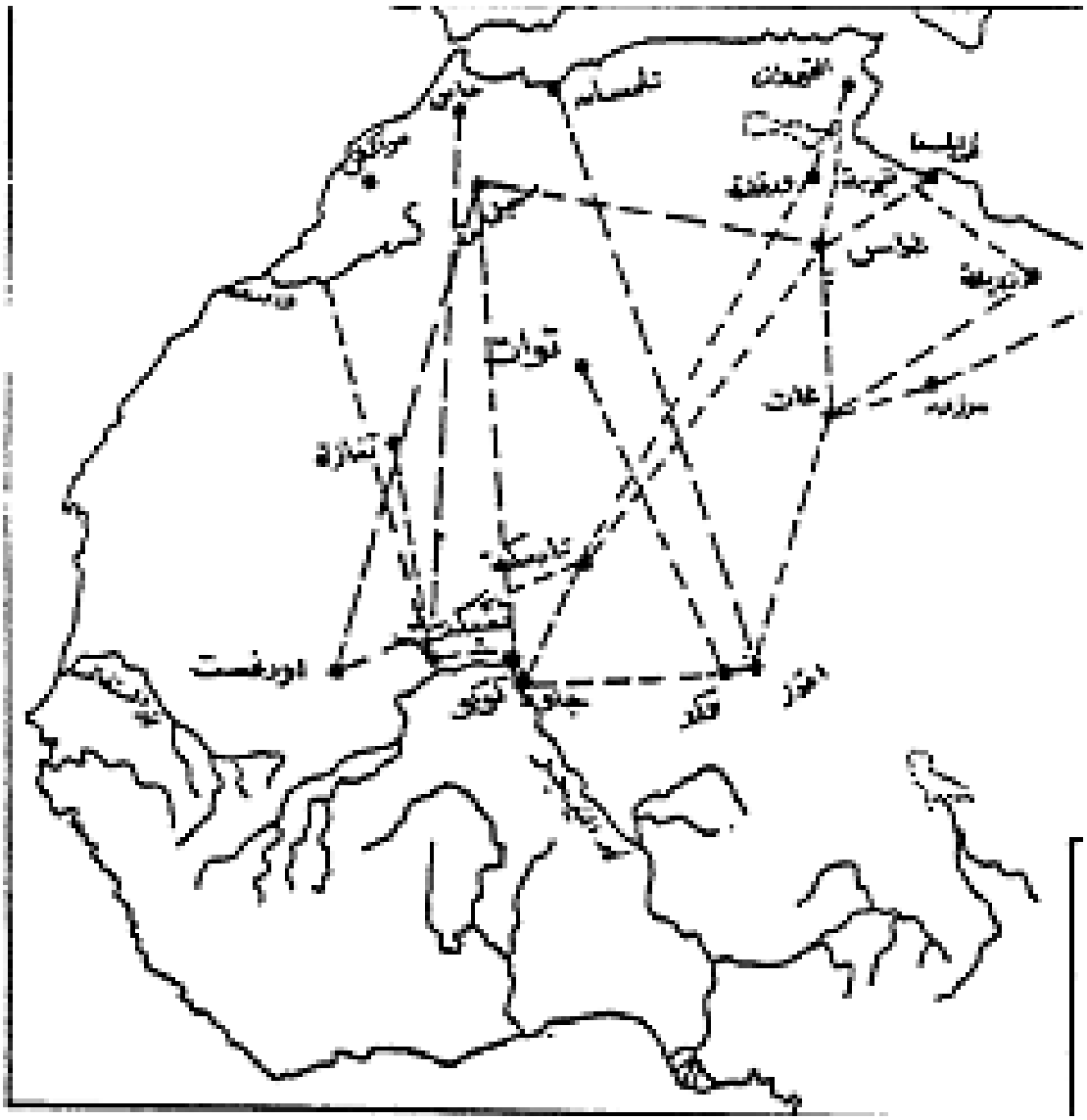

خريطة لأهم الطرق التجارية بين السودان الغربي وشمال أفريقيا عن الهادي مبروك الدالي: الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، المرجع السابق، ص 362.

الملحق رقم 03

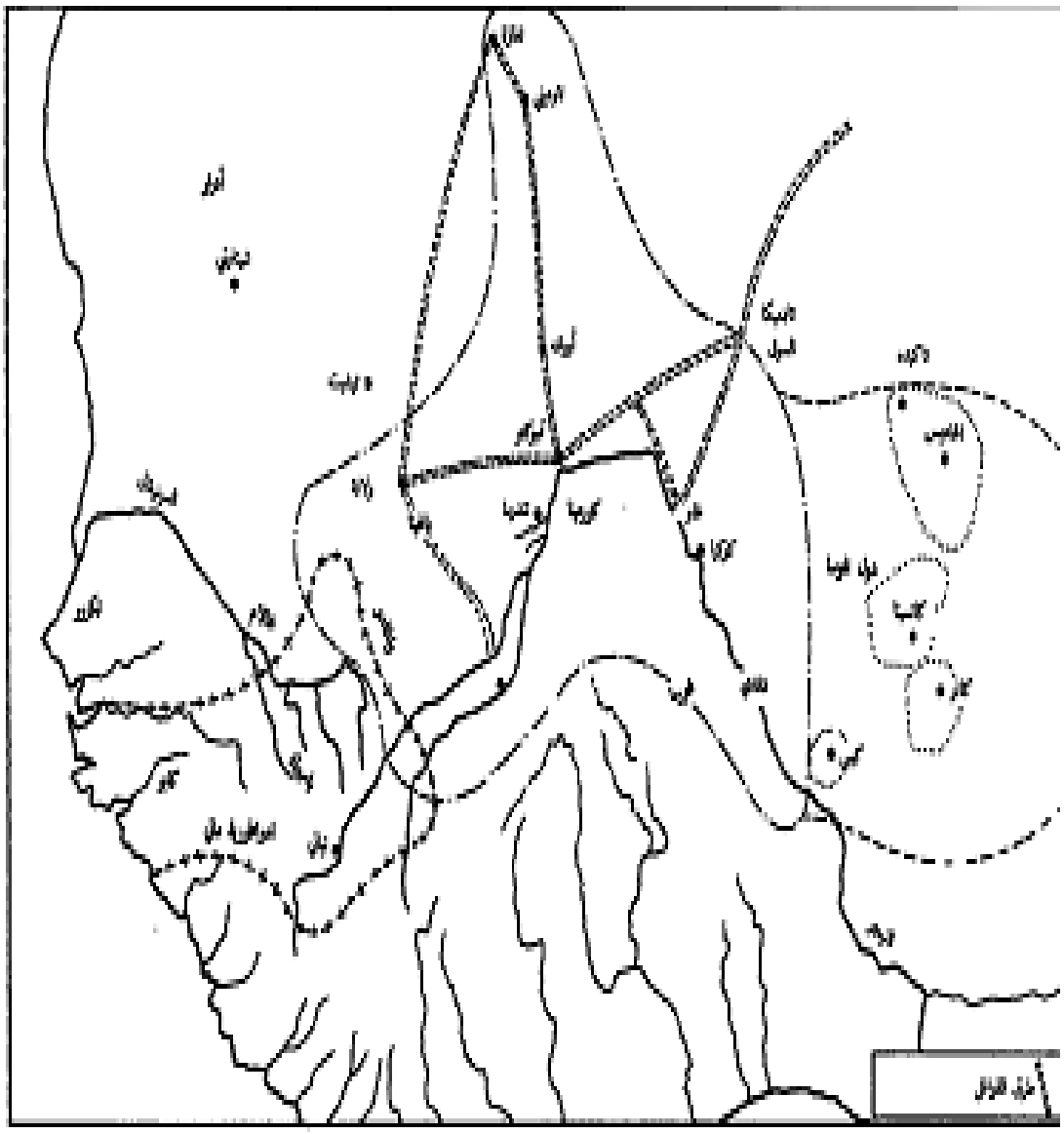

مملكة سنغاي خلال القرن السادس عشر الميلادي عن:

نياني ج .ت وآخرون: المرجع السابق، ص 205.

الملحق رقم 04 :

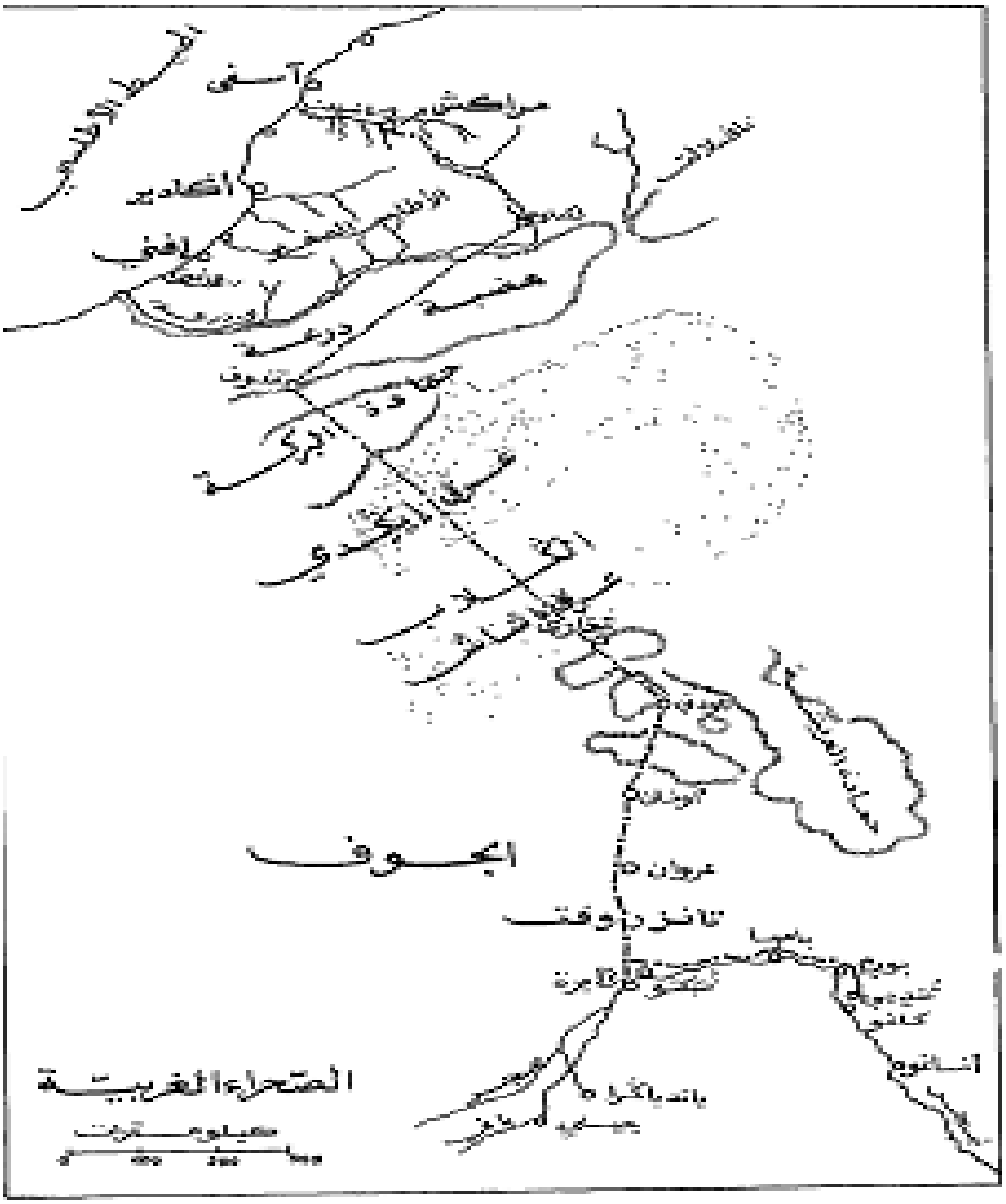

طريق سير حملة المنصور من مراكش إلى غاو 999هـ /1591م عن: عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 260

الملحق رقم 05 : رسالة من المنصور إلى فيلب الثاني ملك اسبانيا المكتبة الوطنية مدريد

عن: عبد الهادي التازي: المرجع السابق. ص 156.

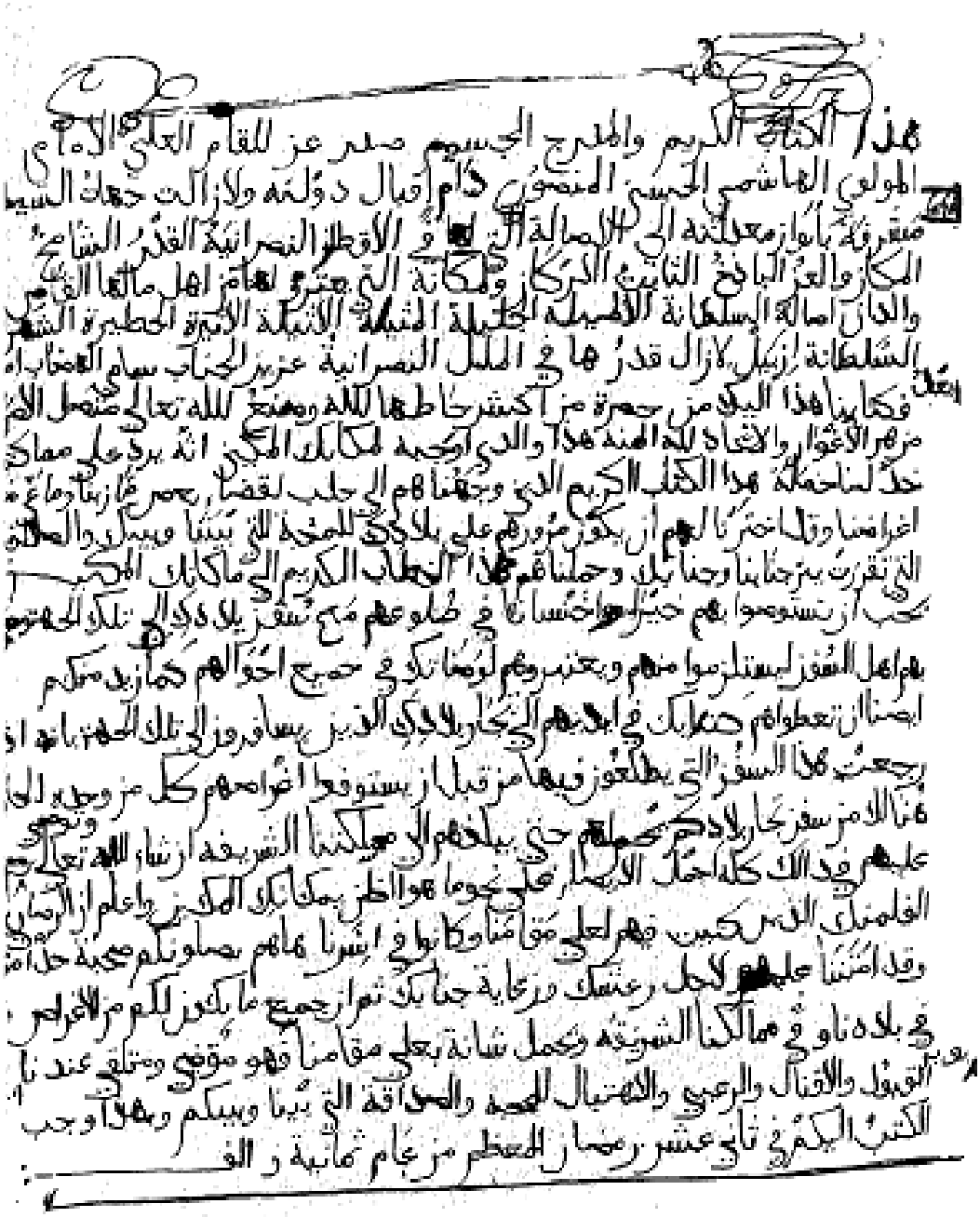

الملحق رقم 06 : الخطاب الأول للمنصور إلى الملكة إليزابت الأولى حول تدبير عمليـــة الإنزال العسكري في الهند الشرقية والغربية لضرب مصالح اسبانيا وهـــو بتـــاريخ 12 رمضان 1003هـــ الموافق 27 مارس 1600 عن عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص202

قـــــائمـة المصـــادر و المـــراجـــع

أ : المصـــــــــــــــــــــادر :

– الإدريسي محمد بن محمد أبي عبد الله : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، بدون تاريخ.

– ابن خلدون عبد الرحمان : العبر و ديوان المبتدأ أو الخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ج5.

ــ الفاسي عبد الكبير: تذكرة المحسنين لوفيات الأعيان وحوادث السنين تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق(موسوعة أعلام المغرب)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م.

– الفشتالي عبد العزيز أبي فارس، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، مطبعة ومكتبة عصرية الرباط، 1972.

– القادري محمد بن الطيب: نشر المثاني لأهل الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق(موسوعة أعلام المغرب)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م.

– القلقشندي أبو عباس أحمد : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، المؤسسة الوطنية للتأليف و النشر ، القاهرة ، 1963، ج5 .

– مجهول: تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1899م.

ـ محمد بلو بن عثمان فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق : بهيجة الشادلي، ط1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط المغرب، 1996.

– الناصري أبو عباس أحمد بن خالد : الاستقصاء الإخبار دول المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، الجزائر، 1955 .

– اليفرني محمد الصغير : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تصحيح هوداس، مطبعة بوردين، أنجيه، فرنسا، 1888م.

ب : المـــراجـــــــــــــع

– إبراهيم حسن : واقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء 1979 م .

– أبو خليل شوقي : وادي المخازن، دار الفكر ، دمشق، 1988 م .

– الأرقش دلندة و جمال بن طاهر : المغرب العربي الحديث من خلال مصادر مركز النشر الجامعي ، ميديا كوم، 2003 .

– البر سامح عامر : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر دار النهضة العربية ، بيروت، ط1، 1979 .

– التازي عبد الهادي : التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدام العصور إلى اليوم ، طبع بمطابع فضالة ، المحمدية، المغرب، المجلد الثامن

– مبارك جعفري : العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص 235.

– الجمل شوقي : المغرب الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، مصر، ط2، 2003 .

– الدالي الهادي المبروك : التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18، دار النشر المصرية اللبنانية ، الإسكندرية مصر، ط1 ، 1999 .

– الصلابي محمد علي : صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ج1، دار ابن الجوزي للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة، ط1، 2007.

– الصلابي محمد علي : دولة الموحدين، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2007.

– العروي عبد الله : مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2003،

– العماري أحمد : توات في الشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 – 1902، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط1 .

– الفاخوري حنا : تاريخ الأدب العربي في المغرب، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت لبنان، ط1، 1982 .

– الفيتوري عطية المخزوم : في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام) منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط1 ، 1998 .

– القاسمي علي : مداخلة (العلاقات المغربية جنوب الصحراء كيف تفسر الأحداث) معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة محمد الخامس من 13- 25 أكتوبر 1992 .

– السيد محمود : تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية مصر، 2006.

– حمدي جعفر عباس : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2001.

– جوزيف جوان : الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا وآسيا ترجمة مختار السويقي، دار الكتب الإسلامية، بيروت لبنان، ط1، 1984.

– عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م.

– متولى مصطفي أحمد : بداية الايام و نهاية الزمان في تاريخ الإسلامي ، دار ابن خلدون ، القاهرة، ط1، ج2.

– ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات (الجزائر ، المغرب الأقصى ليبيا) مكتبة الإسكندرية ، منشورات جامعة دمشق ، 2000 م .

– عامر محمود علي و محمد خير فارس : تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ليبيا) مكتبة الإسكندرية ، منشورات جامعة دمشق ، 2000 م .

– غلاب عبد الكريم : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار المغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط2، 1982.

– فيج دي جي : تاريخ غرب القرنين ، ترجمة يوسف نصر ، رابع الترجمة بهحت رياض ، دار المعارف، الإسكندرية مصر، ط1، 1982.

– سعيدوني ناصر الدين : معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر 1955 .

– شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830 ، تعريب محمد مزالي ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1979 .

– هاو روسيل ورين : الإسلام في غرب إفريقيا ، ترجمة عبد الوهاب محمد الرثتاني دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 2009 .

– يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20، دار هومة للطباعة و النشر .

– يحي جلال : تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، المكتبة الجامعية الحديثة الإسكندرية مصر ، 1999 ، ج2 .

– يونس نكروف : معركة وادي المخازن ، ترجمة حسين حيدرو وفاء موسى ، دار عويدات للطباعة و النشر ، 1987.

- Fray luis nieto : en la relation des las guerras de berberia , ydel suces y muerte del rey d.sebastion ,recopilada eu la cobeciou de documentos ineditos para la hutoria de espana , vol ,100 page 411.485.

- Joseph ki-zerbo: histoire de l'Afrique noire d'hier à demain, Paris,1972.

- Zakari Dramani-Issifou, l'Afrique noire dans les relations internationales au XVI siécle (Paris, Karthala, (1982).

فهرس الموضوعات

مقدمة : .....أ ب ج د

مدخل : الحيز الجغرافي لمنطقة السودان الغربي وممالكهم .....5 – 9

الفصل الأول : أوضاع الدولة السعدية ومملكة سنغاي.....10

المبحث الأول : التعريف بالدولة السعدية 11

المطلب الأول : تأسيسها (النسب ، النشأة ، مؤسسها) 11

– النسب و النشأة .....11 – 12

– تأسيسها .....12 – 13

المطلب الثاني : مرحلة تكوين الدولة وعلاقتها بجيرانها.....14 – 15

المبحث الثاني : مملكة سنغاي 16

المطلب الأول : تأسيس مملكة سنغاي .....16 – 18

المطلب الثاني : الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.....18

– الأوضاع السياسية .....18 – 20

– الأوضاع الاقتصادية .....20 – 21

– الأوضاع الاجتماعية .....22 – 23

الفصل الثاني : حملة المنصور السعدي على السودان الغربي.....24

المبحث الأول : الدولة السعدية إبان فترة المنصور السعدي.....25

المطلب الأول : التعريف بالمنصور السعدي .....25 – 31

المطلب الثاني : التنظيمات الداخلية للدولة.....32

–الإدارة المركزية.....32 – 34

–الإدارة الإقليمية.....34 – 35

–تطبيق الشريعة الإسلامية.....35

- التنظيم العسكري.....36 – 38

- العمران.....38 – 39

المطلب الثالث : علاقات المنصور الخارجية (الدولة العثمانية، البرتغال، الأسبان)...39

- علاقة المنصور بالدولة العثمانية.....39 – 42

- العلاقات مع البرتغال.....42 – 45

- علاقة المنصور مع اسبانيا.....45 – 47

المبحث الثاني : حملة المنصور على السودان الغربي 47

المطلب الأول : الاستعداد للحملة .....47 – 48

- دوافع الحملة.....49 – 54

المطلب الثاني : مفاوضات المنصور مع أصحابه في أمر الغزو.....54 – 59

المطلب الثالث : مجريات الحملة.....59

- غزو منطقة توات و تيكوارين .....59 – 60

- الحملة على السودان الغربي .....60 – 66

الفصل الثالث : نتائج الحملة وانعكاساتها.....67

المبحث الأول : انعكاسات الحملة على المغرب والسودان 68

المطلب الأول : الانعكاسات السياسية والاقتصادية.....68 – 71

المطلب الثاني : الانعكاسات الاجتماعية والثقافية.....72 – 75

المبحث الثاني : الحملة في نظر السودانيين والمغاربة 76

المطلب الأول : الحملة المغربية في نظر السودانيين .....76 – 79

المطلب الثاني : الحملة في نظر المغاربة .....79 – 81

خاتمة :.....82 – 84

الملاحق : .....85 – 91

قائمة المصادر والمراجع .....92 – 97

الفهرس : .....98 – 100